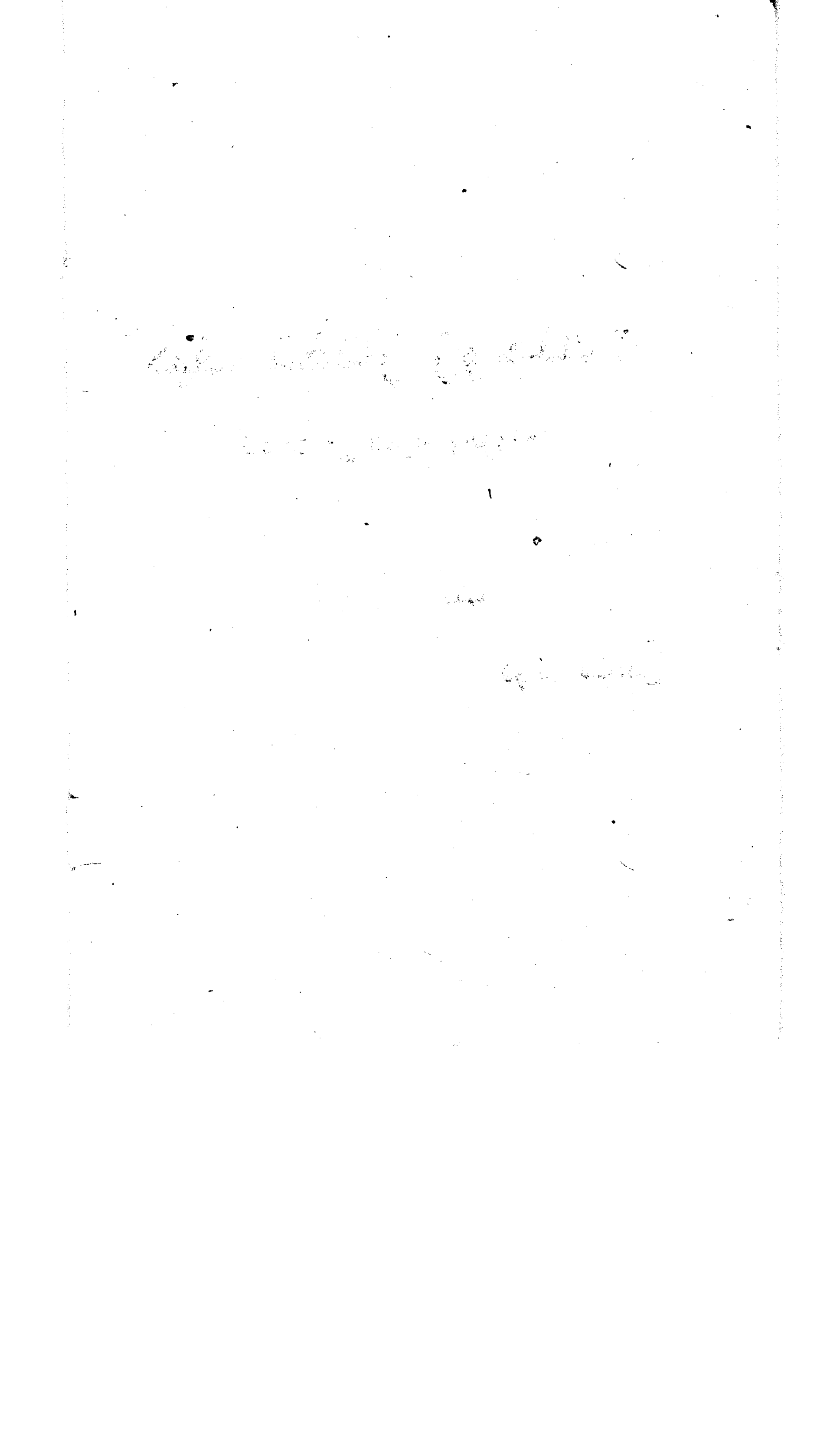
كيف تختار زوجتك ؟

نظرات فى المرأة والزواج

بقلم

فؤاد قنديل



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

صدق الله العظيم

سورة النساء (١)

هـذا الكتـاب . . لمـــاذا ؟

لايستطيع أى كاتب مخلص أن ينتزع نفسه من التفكير فى مشكلات أمتـه ، اقتصـادية أو اجتـماعية ، سياسية أو ثقـافية . فهى همُّه الذى لايملك الفرار منه ، وهى ظله الذى يتبعه حتى فى أحلك الليالى ، وهى بؤرة أحلامه التى تؤرقه وتهزه بعنف ولا تفتأ تناديه ، وترجوه أن يستل قلمه ، ويساهم فى القضية بكلمة أو رأى .

ونحن فى مصر خاصـة ، وفى العـالم العربى بشكل عام نعانى من الأمراض الإجتماعية التى لايحصيها عَدْ ، والتى لاتزال تعيث بالتخريب والتـدمير ، وهى « بارونا » تنهش فى حديد الأمة وتهد من طاقته وتئد أحلامه وتحد انطلاقـــه .

والعـلاقـات الأسرية بالـذات لها من هذه الأمراض نصيب كبير ، والحـوادث فى الصحف والمجـلات تترى كل يوم ، عجيبـة وغـريبة ، والأنباء التعسة لاتتوقف عن وصف الحالة المتردية للعلاقات بين الأب وابنه والإبن وأبيه والأخ وأخيه والزوج والزوجة ، والزوجة بأهل زوجها والزوج بأهل زوجته . . إلى آخر قائمة هذه العلاقات الحساسة فى مجتمعنا الشرقى الذى لم يعد شرقيا بحكم ما غزاه من عادات وعلوم وتكنولوجيا وانفتاح ووسائل اتصال وازدحام بالعناصر الأجنبية وتقلبه المستمر على نار السياسة الدولية ومشكلات الإقتصاد العالمى .

والزواج فى بلادنا مشكلة المشاكل الاجتماعية ، فهو المنبع الذى يتفجر

منه نهر الحياة الأسرية ، وهو الذى يرسم ملامح السعادة أو التعاسة فى مجتمعنا وفى حياة أفراده لمئات الأعوام القادمة . . وأذكر جيدا لأحد المفكرين فى هذا الخصوص قوله : إن سلوك الطفل تحكمه تصرفات أجداده فى السنوات المائة السابقة على مولده .

والحياة فى أى مجتمع لاتبدأ بميلاد طفل ، ولكنها تبدأ بزواج ذكر وأنثى . . وهذه هى البداية التى يتعين علينا أن نبدأ بها ومعها . . فندرسها بكل الطاقة والعلم والخبرة ، ونقدم لها كل ماهى جديرة به من اهتمام ورعاية . . لأنها قاعدة الإنطلاق فى طريق طويل من السلبيات أو الإيجابيات ، طريق طويل غير معبد بما يتناسب مع حياتنا الجديدة وعالمنا المعاصر المحتشد بالإنتاج والتغير والصراع والتحدى .

عالمنا المعاصر يتطلب منا حذرا ووعيا واستعدادا لليوم والغد . . انه عالم جد مختلف عما سبقه ، ولا مجال لوصفه فهو معروف ومكشوف لكل فئات المجتمع مهما قلت أعمارهم ونأت أماكنهم . وهو فى نفس الوقت عالم مدهش ومفاجىء ، جديد ومتجدد وأيضا مجنـون .

وإذا كان الحال هكذا فليس ثمة غير طريق واحد ، هو أن نستعد بالسلوكيات المقننة والفكر السليم ، وأن نودع إلى غير رجعة الأسلوب الإرتجالى فى كل ما نقدم عليه وخاصة فيما يختص بأخطر مشروعات العمر وهو الزواج . . وهذا مادعا وزارة الشئون الإجتماعية أنّ تفكر يوما وأظن ذلك كان عام ١٩٥٦ فى إنشاء معهد للزواج تدرس فيه الطالبات وسائل التعرف على الزوج المنشود وطرق الحفاظ عليه وعلى البيت ، ويدرس الطلبة كيفية اختيار الزوجة المناسبة كما يدرسون طباعها وافكارها النفسية والعقلية . . ومثل هذه المعاهد موجود فعلا فى أمريكا حيث يتلقون ما

يجب معرفته عن الحياة الزوجية . . أملا فى الوصول إلى خلية إجتماعية سوية وصالحة للعطاء .

ويأسف الإنسان إذ تطالعه العديد من الظواهر الغريبة فى مجتمعنا وكلها تشير إلى عشوائية كبيرة فى اختيار الزوج والزوجة ، وهذا يعنى أن تكون البذرة الأولى حاملة لجرثومة الفشل والتفسخ فى الروابط الإجتماعية وازدهار السلوك العدوانى وسيادة الشعور بالسخط . . وما أحرى أن تكون هناك مكاتب أو معاهد لتأهيل المتزوجين ولو لمدة شهور ، يأخذ بعدها الرجل رخصة بصلاحيته للزواج كرخصة قيادة السيارات .

وقد يرى البعض أن موضوع الزواج يدخل ضمن اهتمامات علم الإنسان الإجتماعى ، وهو أحد فروع علم الإنسان [الأنثروبولوجيا] . . وهو كذلك بالفعل ، وقد حققت بحوث علمائه عددا من النتائج القيمة بفضل الدراسات الميدانية التى أجراها مردوك ومالك ويستر وما ليثوفسكى والعلماء التطوريون من أمثال مورجان الأمريكى وباشوفن السويسرى وأيضا عالم الإجتماع الفرنسى الشهير إميل دوركايم ، لكن جهودهم انصبت فى الأغلب على بحث طبيعة الزواج كعلاقة حميمة بين الرجل والمرأة وتأثيره على المجتمعات البدائية وتطوره بعد ذلك فى المجتمعات القديمة والحديثة ، كما عملوا على تتبع صوره المختلفة وقوانينه ووظائفه السياسية والإقتصادية والثقافية .

ولا يتميز علم النفس فى هذا السبيل بمكانة خاصة وميادينه غنية عن التعريف ، والأفضل عند التعرض لاختيار الزوجة المصرية بالذات الإستشهاد بما ورد فى الكتب السماوية والأحاديث النبوية وآراء الفقهاء والعلماء لأنها تتضمن علاجا لمشاكل الإنسان من خالق الإنسان . . أما

الرجوع إلى أهل الخبرة الوفيرة والتجارب الكبيرة فقد يفيدنا كثيرا لأنه نبع كبير للصلاح والإصلاح ، مع الأخذ فى الاعتبار ماطرأ على المجتمع من تغيرات متباينة فى شتى مناحى الحياة ، واهتمامنا بالتركيز على المصادر الدينية والخبرة البشرية هو محاولة للتذرع بمنهج موضوعى ، والاستعانة بطريقة دقيقة تتناسب مع طبيعة الانسان العربى وتنسجم مع ظروفه ولن يكون فى صالح هذا البحث الاسراف كثيرا فى الاعتماد على آراء كبار علماء النفس والأنثروبولوجيا لأن أغلبها وضعه غربيون لظروف وانسان وأجواء وعقد غربية ، ولا يمنع هذا من الاستفادة بما أحرزه علم النفس من نتائج ، فقد تمكن من إنجاز عدد من النظريات التى أدركت وحددت الملامح الأساسية للنفس البشرية فى مختلف مستوياتها وظروفها ، ووضع يده على كثير من الأمراض والدوافع الجديدة التى تفجرت فى النفوس الحائرة إزاء متناقضات العصر .

* * *

ورغم انشغالى بكتابة القصة القصيرة والرواية وانصرافى التام لهما إلا أن الخبرة التى تجمعت لدى حول المرأة وطبيعتها وحول الزواج وما يكتنفه من مشكلات مارسا علىّ ضغطا هائلا وأوعزا إلىّ بإلحاح شديد أن اختطف شهورا لوضع هذا الكتاب ، والمشاركة بنصيب فى صياغة « روشتة » ناجحة لرحلة الزواج المقدسة تلك العلاقة الأبدية والحساسة بين الرجل والمرأة . . تلك العلاقة التى تعانى حرمانا من الرأى الرشيد والنظر السديد .

ولا أنكر أنى عاطفى إلا قليلا . . إزاء مثل هذه الموضوعات التى أحس بالشوق إليها فأغالبها ، وتلح لأنها قلب وروح المجتمع . . وكثيرون لايتصورون أن المجتمع يعتبر ابن الكاتب . . ابنه الوحيد الذى

يقلق عليه ويشفق ، يثور عليه حينا ويثور لأجله أحيانا ، والشباب أغلى وأعز فئات المجتمع . . يجب أن يحظى بعناية خاصة واهتمام بالغ . . لأن لديه كل أسباب الحيرة ، والزواج أخطر ما يواجهه . . فلمن نوكل أمر الشباب ؟ . . ومن يتعين على الشباب أن يطلب النصيحـــة ؟

* لاشك أنه يترقب بكل اهتمام كلمة الكتاب أصحاب الرأى والضمير يفتش فى سطورهم عن الهدى والنور . . وينقب عن مفتاح الباب المغلق الذى ينطلقون منه إلى غد مشرق وحياة سعيدة . .

وتظل هذه الصفحات التى تجرأت على ولوج عالم المرأة وتناول موضوع الزواج أو الطريق إليه . . أو بالتحديد كيف تتم عملية اختيار الزوجة مجرد محاولة يجب أن تعقبها وتُعقّب عليها محاولات أخرى لتسهم جميعا فى توضيح الصورة المهزوزة وضبط الملامح وإنارة الطريق . . وعلى الله قصد السـبيل .

فـؤاد قنـــديل

الفصــــل الأول
الــزواج .. لمــــاذا هو ضـــرورة ؟

أول حدث اجتماعى :

الزواج هو أول حدث اجتماعى فى الكون كله وهو أخطر حدث اجتماعى فى حياة المخلوقات جميعها . . الزواج هو البداية الوحيدة التى دفع العزيز الحكيم من خلالها الحياة إلى الأرض ، فانتشر العمران وبدأت رحلة طويلة امتدت لملايين السنين على هذا الكوكب الصغير الذى يحمل خمسة مليارات من البشر وما لا يحصى من المخلوقات ومليارات الأطنان من الجبال والمياه والنبات .

وهذه الأرض التى نعيش عليها ليست إلا كوكبا بالغ الضآلة فى الكون الهائل الذى أبدعه ولا زال يحفظه الخلاق العظيم وكل ما خلقه وسوّاه ينطوى على حكمة وفلسفة تحار العقول لها وتدهش ، وما أحرى أن ينشغل الفكر البشرى كله بهذا الإعجاز الإلهى فى كل ما صنع وأبدع ، بل فى كل كلمة وموقف . . فى كل أمر ونهى ، فى كل حركة فى الحياة وكل سكون . . ما أحرانا أن نتخلص من عناكب الحياة وزحام المطالب لنتأمل ونتأمل صنعة البارى وحكمته وهندسته الإلهية . . أسرار كثيرة نحن منصرفون عنها ونخطىء فى حق أنفسنا ببعدنا عن التفكر فيها والاستمتاع بالتعرف عليها . . لكننا بشر ، والقدرات تختلف والمواهب تتباين ، وسبحان مقسم الأرزاق .

وأظنها الشاعرة شريفة فتحى التى قالت :

لستُ الملاكَ ولا الرجيم وإنما   بعضى على أرضى وبعضى فى السَّما
ويلٌ لنورٍ فى السماءِ إذا ارتمى   أرضاً وطُوبى للتراب إذا سما

التـزاوج والـزواج :

اعتدنا أن نسمي العلاقة الاجتماعية التى تربط الذكر بالأنثى فى كافة المخلوقات « تزاوجـاً » إلا فى الإنسان ، فالعلاقة التى تربط الرجل بالمرأة تسمى « زواجاً » ، لأن الدافع للتزاوج بين جميع المخلوقات من غير البشر دافع وحيد هو إشباع الغريزة الجنسية التى ينشأ عنها ـ بلا قصد أو رغبة ـ النسل والتكاثر ، وهذه العلاقة المؤقتة لاتنظمها قوانين أو قواعد ، وإن كانت لدى البعض منهـا تلتزم عادات معينة وتقاليد ، وتحرص فى هذا السبيل على أن تؤدى طقوسا بعينها تختلف من نوع إلى آخر ومن مناسبة لأخـرى .

أما عند البشر فإن الزواج رغم أنه أيضا وسيلة تكاثر إلا أنه بفضل القدرات العقلية والنفسية التى يتميز بها الإنسان ـ يستهدف تحقيق رسالة تتجاوز كثيرا دفع غائلة الشهوة والإنجاب . . رسالة مقدسة تتناسب مع مكانة الإنسان على الأرض والغرض من وجوده .

« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما » [1] .

صدق الله العظيـــم

إذن فمن قصر النظر لدى البعض أن يتصور أن الإنسان مجرد موجود مثله كمثـل العصفـور والفيل والنعامة أو الدجاجة والقرد . . الإنسان

---

(١) ســورة الأحـزاب ٧٢ ، ٧٣ .

يختلف . . وعليه أن يعي هذا جيدا لا فى شئونه المصيرية فقط ، ولكن فى كل سلوك يأتيه وفى كل موقف يقدم عليه مهما كان بسيطا .

أنا أم الظروف :

والحق أن من أبرز ما يعيب شعوبنا أن الإنسان فيها ـ لأسباب كثيرة ـ لم يتنبه إلى من غافله وسرق أهميته فى نظر نفسه . . سرق دوره وقراره وسرق رسالته التى وضعها الله فى عنقه :

« وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، إقرأ كتابك ، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »[1] صدق الله العظيم .

أصبح الإنسان العربى مستسلما للظروف وللقوانين ولوسائل الإعلام ولمختلف الأقاويل السائدة مطيعا لكل ما يُدعى إليه وما يؤمر به ، ولم يعد هناك مايستحق الإهتمام والبحث حتى لو كان لنفسه هو . . لقد أصبح إنسانا مثاليا من وجهة نظر البعض ، بلا رأى ولا هوية ، وأسوأ من هذا كله أنه أصبح آلة فى يد جسده لا فى يد عقله ، يستجيب فقط لكل ما تتطلبه أجهزته وغرائزه ، خاضعا لاحتياجاته المادية والإستهلاكية يجد فيها لذته ومتعته ومنتهى طموحاته وقمة آماله . . أما الحب والجمال والحرية والثقافة واحترام القيم والمبادىء والمودة الخالصة ، فقد غدت كلمات جوفاء بلا معنى ، أفضل له ألا ينشغل بها . . فليس من ورائها طائل إلا اللجاج الممل والسفسطة الفارغة .

---

(١) سورة الإسراء ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

وإذا كان أمل هذا الكتاب أن يتحدث إلى الشباب فى شأن خطير من شئون دنياهم وهو الزواج واختيار الزوجة ، فإن آمال هذا الكتاب أيضا أن يوجه الشباب وكل راغب وراغبة فى الزواج إلى ضرورة التفكير فى السعادة وتحديد السبيل إليها والتوجه نحوها ، لأنها هدف كل سلوك وعمل ، بل هى هدف كل صراع وقتال . . وتحقيقها لبنى البشر كان دائما الشغل الشاغل للأنبياء والمصلحين والمخلصين من الزعماء والقواد والكتاب والمفكرين ، أيا كانت دلالتها ومعناها لدى كل فـرد .

ولابد ان شاء الله أن يجد الإنسان السعادة التى هو جدير بها بوصفه أجمل المخلوقات وأرقاها ولأنه رائعة الطبيعة كما يقول بيكن سفيلد . وكيف لا وهو الذى خلقه الله على أجمل صورة مع قوة الإرادة وعمق الفكر وغـزارة الشعـور ، ومن بين البشر خرج العلماء والأنبياء والفنـانـون والمفكرون . . ولنا أن نتصور حال الأرض قبل أن يضع آدم أبو البشر قدميه عليها وحالها الآن .

كانت . . تلك المساحة الكبيرة فارغة تماما من كل عمران . . لم تكن غير جبال ووديان وبحار وأنهار وألوان مختلفة من الحيوان والنبات .

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعـل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » [1] .

صدق الله العظيـــم

حياة هائلة تنطلق وتزدهر فى كل ركن ، لكنها لاتستطيع أبدا أن تتقدم خطوة واحدة ، وأنى لها التقدم دون الإنسان . . فلما جاء وأعمل فكره

---

(١) سـورة الرعـد ٣ .

المستقر فى إعادة تشكيل الحياة وصبغها بألوان جديدة بدأت مرحلة مختلفة فى قصة الخلـــق .

وهـاهى الآن تحتشد بالعمران حتى يكاد من يسكنونها يضيقون بما حققوه وشيدوه عبر ملايين السنين . . أنشأ الإنسان حضارات سادت ثم بادت وأعقبتها حضارات سادت ثم بادت . .

حقق هذا العمران بشر تكاثروا بوسيلة لاتتوقف أبدا عن الإنتاج هى الزواج ، دفعهم الله إليها بدافع قوى لايقدرون على صده أو مقاومته هو الجنـــس .

لقد اقتضت حكمة المولى عز وجل أن تكون شهوة الجنس بوابة تؤدى حتما وبالقسر إلى الزواج ، ومع ذلك فالزواج الذى ابتغى الله من ورائه أن يكـون آلة تنتج البشر ينطوى على كثير من المعانى السامية والفوائد الجمة بوصفه علاقة اجتماعية وثيقة ونبيلة .

الـزواج فى الإســـلام :

يقول سبحانه وتعالى فى كتـابه العزيز :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبـا » [1] .

ويقـــول :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » [2] صدق الله العظيـم .

---

(١) ســورة النســاء ١ .
(٢) ســـورة الروم (٢١)

وإذا حاولنا ـ استجابة لأمر الله ـ أن نتفكر ونتأمل فى الآية السابقة فسوف نلاحظ أولا : أنه خلق لنا من أنفسنا . . وهذا تحديد لنوعية المرأة على اعتبار أن الحديث موجه أساسا إلى الرجل . . المرأة من الرجل ، لابمعنى أنها ضلع من ضلوع آدم كما يشاع ، ولكن بمعنى أنها من نفس الصنف والخامة . . فهى تماثله وتشبهه تماما وليست من نوع آخر . . وهى بهذا تكون مفصلة على قده ، مناسبة له ، ومهما كانت الفروق بينهما ، فإن التقاءهما معا واتحادهما الكامل يكون شخصا واحدا . . كل جزء فيه يبحث عن الجزء الآخر . . فلماذا خلق الله المرأة ؟ . . وهذه هى النقطة الثانية .

وتجيب الآية « لتسكنوا إليها » . . أى لتجدوا عندها الراحة والهدوء والحب والمتعة ، فتستطيعون بعد ذلك معاودة العمل برغبة وحماس .

وكما أنك لاتستطيع أن تعمل أيلما متصلة دون نوم ، كذلك خلق الله للرجل زوجة هى كالنوم والراحة بالنسبة للعامل المجهد .

وفى كلمتى « تسكنوا إليها » تكمن تقريبا كل حكمة الزواج ، والغرض منه وهما فى الوقت ذاته يرسمان دور المرأة إزاء زوجها وأسرتها ، أما شريعة هذا الزواج ونظامه ، ووسيلة دوامه فهى المودة والرحمة .

واختلف العلماء فى فضل الزواج أو « النكاح » كما ورد فى القرآن الكريم وعلى لسان نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله ، واعترف الكثيرون بفضله واعتبروه فى المرتبة الثانية من الأهمية بعد العبادة ، لأن عدم الزواج يشوش الفكر ويشغل البال ، فينصرف المؤمن عن عبادة المولى سبحانه .

والدين الإسلامى لايعترف بالرهبنة ولا يقرها وإنما يحث على الزواج والمصاهرة لأنها أساس الكون ودعامة الوجود ، وقد قال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم .

« ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » [1] .

وقد أثنى سبحانه على الذين يتوجهون إليه بالدعاء أملا فى زواج طيب وذرية صالحة فقال .

« والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعيـن » [2] .

ويقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » وقال أيضا « تناكحوا ، تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط » .

وحبذ الرسول الزواج وكرّه الامتناع عنه ، فقال : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا [1] فليصم ؛ فإن الصوم له وجاء » [2] .

وله أيضا قوله فى التوصية بالزواج والعمل على تمكين الراغب فيه مهما كان حاله . .

« إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

---

(١) سـورة الرعـد ٣٨ . (٢) سـورة الفرقان ٧٤ .

(٣) أى من لايستطيع .

والوجاء هو عملية رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته ، فالمعنى مستعار للدلالة على الضعف عن الوقاع لدى الصائم .

ويؤكد الرسول فضل الزواج قائلا : من تزوج أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى » .

ويمضى الرسول خطوات واسعة فى فهم النفس البشرية ويكشف عن دراية عميقة بعللها وأدوائها فيقول : « لم نر للمُتحابين مثل النكاح » .

*** المســـيحية والزواج :**

أما فى الدين المسيحى فقد مست الأناجيل العلاقات الزوجية مسًا هينا وتناولته فى عدد من المواضع ، والسبب فى ذلك هو أنه على قداسته لم يلق حماسا لدى بعض تلاميذ السيد المسيح عليه السلام وخاصة بولس الرسول ، أما السيد المسيح فرأيه واضح وحاسم بقوله فى موعظة الجبل « سمعتم أنه قيل للأولين لاتزنوا ، أما أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة لكى يشتهيها فقد زنى بها فعلا فى قلبه ، فإن جعلتك عينك اليمنى تأثم ، فافقأها والقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وإن جعلتك يدك اليمنى تأثم فاقطعها ، والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يذهب جسدك كله إلى جهنم » .

أما بولس الرسول فقد دعا إلى الإحجام عن الزواج ، أما الذين تزوجوا فقد طلب إليهم أن يتصرفوا وكأن ليس لهم نساء . .

كان القديس بولس مشغولا بخدمة الرب منصرفا إلى عبادته . . لا يقبل أن تقطع هذه العبادة كلمة أو فعل إنسانى مهما كانت قيمته وحتى لو كان تلبية لإرادة الطبيعة كالزواج مثــلا . .

ولذا فقد تحمس لحياة العزوبة ودعا أتباعه للزومها وتوجه بدعوته إلى

كل رجل كى لايتزوج ، وإذا كان متزوجا طلب إليه ألا يزوج ولده أو ابنته ، وعليه أن يتفرغ لعبادة الله فذلك أحصن له وأسـمى .

وأيدته فى هذا السبيل أعداد غفيرة ، مضت ، تحط من شأن الجسد وتحقر الإتصال الجنسى لأنه رجس من عمل الشيطان وفساد فى الأرض .

ولما كانت الكنيسة تشجع الزواج وتباركه من منطق رغبتها فى السعى إلى إرساء إطار شرعى ومقدس لتكوين أسرة سليمة تعمر فى الأرض وتحمل رسالة عيسى وتطامن من طغيان الجسد وتخشى على الناس من ثورته وبالزواج يولد الأطفال وهم ضرورة للدولة والعالم ووجودهم آمان للمجتمع من الإنحلال ، فقد وقفت حائرة لأنها كانت فى الوقت ذاته غير متحمسة لمعارضة بولس الرسول والتصادم مع أفكاره التى ذاعت وغلبت على كثير من الآراء ، على أن هذه الحيرة لم يطل بها الأمد لأن الكنيسة كانت منصرفة أو تكاد لمعركة أكبر وهى معركة الأعداء الذين يقاومونها ويرفضون سيطرتها ومحاولتها النفاذ بالرسالة الهادية إلى الشعب الذى عانى الظلم والإضطهـاد .

لم يكن جميع رجال الكنيسة يؤيدون بولس فى دعوته ، ولم يذهبوا مذهبه ، ولكنهم كانوا يعدون العدة لمواجهة الأعداء . . الأمر الذى يتطلب بشرا خاليا من كل عبء ومن كل هم . . مستعدا للنضال من أجل العقيدة ، مضحيا فى سبيلها بكل ما يملك . . راضيا بالاستشهاد الذى يعد أرفع درجة من درجات الفضيلة . . وعلى الرجال والنساء جميعا أن يتخلصوا من نزعاتهم وشهواتهم ويتحدوا من أجل الكنيسة .

ودون ان يتفق الجميع مع القديس بولس ساروا فى طريقه بالدعوة الملتهبة لنبذ الزواج والسمو عليه . . بالصعود إلى السماء . . بالمشاركة فى تحقيق المجد . . بمبارحة الجسد الفانى والأرض ومادياتها .

وفعلت هذه الدعوة فعلها ، وبلغت من التأثير على الرجال والنساء مدى بعيدا ، حتى أن إحدى الفتيات وتدعى « ثكلا » تخلت عن خطيبها غير المؤمن وقررت ألا تعود إليه إلا بعد إيمانه ، بل وأن يشاركها الجهاد فى سبيل تثبيت قواعد العقيدة فى نفوس الجميع .

وأدرك خطيبها وكان من أهل النفوذ وعلى علاقة متينة بالحكام أن بولس وراء هروب خطيبته منه وبعدها عنه ، ولذلك قرر السعى للقبض على بولس ، الذى أودع السجن ، وتذهب إليه « ثكلا » فى سجنه لتزوره وتخفف عنه فيحكمون عليها بالموت حرقا لأنها رفضت الزواج وقاومته وارتضت حياة العزوبة .

وفرضت الطبيعة حكمها على فلسفات البشر وأفكارهم ، وحسمتها لصالحها ، وتدفقت الأنهار العامرة بالأسرار والحب والجمال بين الرجل والمرأة ، وأصبح الزواج علاقة مقدسة وأبدية لا مفر منها رغم أن بقايا الجدل حول قيمته وجدواه ماتزال تشتعل بين الحين والحين . ولازال رجالات المسيحية يشجعون الرهبنة تفرغاً للعبادة وهروبا من الدنيا وما يكتنفها من الماديات والخطايا .

ولم يشهد الإسلام قط مثل هذه الدعوات . . وكان الرسول الكريم حريصا على تأكيد الحث على الزواج وبدأ بنفسه ، وهو الذى قال رافضا التنسك والتفرغ التام للعبادة مؤمنا بأن للإنسان مجموعة من الحقوق والواجبات « إنى أتزوج النساء وآكل اللحم وأنام وأصوم وأفطر ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

ويقول ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لايمنع من النكاح إلا عجز أو فجور » .

أمـا ابن عباس رضى الله عنهما فيقول « لايتم نسك الناسك حتى يتزوج ، لأنَّ النسكَ لايتم إلا بفراغ القلــــب » .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : لو لم يبق فى عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكى لا ألقى الله عزبا » ، وهو ما يدل على مبلغ حرصه أن يكون طاهرا عند لقاء مولاه ، وأن يكون كذلك خالى البال من كل فكر يخالف ما يشغل نفسه به أو خاطر يصرفه عن عبادته .

وقال أحـــــد العلماء :

« فضل المتأهل (المتزوج) على العزب كفضل المجاهد على القاعد ، وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عـزب » .

وإذا كان الزواج بهذه الأهمية فى نظر الكثرة من العلماء والأنبياء فإنه لم يحظ بهذا التقدير لدى البعض ممن دعوا إلى تركه والتخلص من آفاته ووصمـه البعض بأنـه الخـراب والشؤم ، وبـاب كبـير تفتحـه الزوجة والعيال ، للهم والفقر وسوء الحال . الأمر الذى يتعين معه أن نستعرض مزايا الزواج وعيوبه . . وكل إنسان لديه الحرية كى يقيِّم كل مزية كما يشاء ويضعها فى كفة من كفتى الميزان ، ويقيِّم كل عيب ويضعه فى الكفة الأخرى ولينظر بعد أيها أرجــح

للــزواج . . فوائـــــد

١ ـ البنـــون :

قضت حكمته سبحانه أن يعمر الأرض بالبشر ، وأوكل تلك المهمة إلى آلة بشرية هى الزواج .

فالزواج هنا رغبة إلهية وأمر ربانى يتوجب احترامه والاستجابة له ، وقد قال الرسول (تناكحوا تناسلوا فإنى مباهى بكم الأمم يوم القيــامة) لذلك فالمقدم على الزواج متمم لما أحب الله والممتنع معطل لما خلق الله من الآلات .

لقـد خلق الله الـزوجين ، وخلق النطفة وهيأ لها العروق والقنوات وخلق فى الرحم قرارا ومستودعا للنطفة ، وسلط الشهوة على العباد من ذكر وأنثى ليتحقق الإنجاب والتكاثر حتى يمتلأ العالم بخلق يضربون فى الأرض فتعمر وتثمــر .

وقضت حكمة اللطيف الخبير أن يبذر فى قلوب الآباء حب الأبناء . . غريزة أخرى وشهوة متأججة تدفع الآباء لطلب البنين . . فلا يجد الرجل فى الحياة لذة دون ذرية تعقبه ، ولا يقر للمرأة قرار حتى ترزق بجنين تحمله وطفل ترعاه وتحنو عليه ، تغذى بوجوده غريزة الأمومة التى يختلج بها كيانها . . لقــد أراد الله ليجعـل الأبنـاء لازمـين للآبـاء يتمنـونهم وينتظرون يوم قدومهم بفارغ الصبر ، كما أن الآباء لازمون للأبناء حماية ورعاية ونفقة .

ولم يقف طلب الآباء للأبناء عند حدود الرغبة العارمة والشوق البالغ

ارضـاء لهوى النفـوس والغـرائـز ، ولكنهم زينـة يتيه بها ويستمتع كل إنسان . . مصداقا لقوله تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » (١)

فالحياة الخالية من البنين حياة بلا معنى ، وبلا أمل . . حياة عارية من الجمال والبهاء . . حياة وحيدة ميتة . . ساكنة كبيت مهجور . . إنها حياة بلا حيـاة .

فمن أجل الزواج زرع الله فى البشر الشهوة الجنسية ، كما زرع حب البنين وزينه فى نفوس البشر وغرس فى الأنثى غريزة الأمومة حتى لتوشك الزوجة أن تجن إذا حرمت من البنين ، وكذا الرجل الذى يريد أن يمتد ذكـره ويخلد اسمـه وتـرثـه ذرية تمد فى أجله وتمنحـه أعمارا جديدة . . والحكمة الشعبية لم يفتها أن تقول : اللى خلف مامتش .

وهناك من يأمل فى ولد صالح يدعو له إذا مات دعوات طيبات ترجو له الرحمة فى اليوم العظيم ، وفى الحديث « أن الأدعية تعرض على الموتى فى أطبـاق من نور » أو لعـل له طفـلا صغيرا وبريئا يموت فيتشفع له يوم الدين والله لايرد شفاعة الأولاد الصغار . . الأطهـــار .

وهكذا قضت حكمته أن يجعل للأبناء نصيب فى التخفيف عن الآباء يوم القيامة ، لأن القيام عليهم جهاد كبير يكلف الله به عباده .

والمتأمل فى أى أمر لله بعمق وموضوعية يلحظ أن كل أوامره وضعت لصالح الإنسان ، ويتعين عليه أن يطيعها وينفذها بكل القبول والرضا

(١) ســورة الكهـــف ٤٦ .

إيمانـا بالله الـرحمن الرحيم ، ومع ذلك فإن الله يحثه على طاعته بالمزايا والحوافز والأجر الكريم . . وفى الحديث :

« إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهَمْ العيال ليكفرها عنه » .

وقال خاتم الأنبيـاء وسيد المرسلين :

« من كانت له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنــة » .

وقال أيضـــــا :

« من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » والمصطفى صلى الله عليه وسلم هو القائل :

« من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور ، فإنه من فرَّح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النـــار » .

ولأن الله هو الذى زرع حب البنين فى قلوب الآباء ، فقد سمح بتعدد الـزوجات شريطة العدل بينهن وهى مسألة مشكوك فى تمامها . . قال سبحانه . . « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألَّا تعدلوا فواحدة » [1] .

لأن الـذى يتزوج بالأولى ثم لايقدر لها أن تعمر بيته ، وقلبه بالولد مشغوف ، له أن يتزوج ثانية ، فربما يرزقه الله منها بما يفرح قلبه ، وإذا

---

(١) ســورة النســاء ٣ .

خالفت الثانية ظنه فلعلها الثالثة . . فهى إذن رخصة لإرضاء الرغبة الجياشة فى البنين لمن لم تواته فى الفرصة الأولى .

وقال الرسول فى ذم المرأة العقيم وقد اختار الله لها أن تكون كذلك « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لاتلـد » ، وقال « خير نسائكم الولود الودود » .

وقال أيضا « سوداء ولود خير من حسناء لاتلـد » .

وهـذا يدل على أن التناسل أفضل مزايا الزواج وأعلى فوائده ، وقد شاءت قدرته أن يجعل من الرغبة الإلهية رغبة إنسانية تؤرق العباد بالشوق لها منذ الصبا وحتى الثوانى الأخيرة من العمر مهما طـال .

٢ ـــ دفع غائلة الشـــــهوة :

طلب الولد ودفع الشهوة وجهان لعملة واحدة ، فقد ركب الله الشهوة فى الإنسان للتناسل وبقاء النوع .

والزواج يحفظ الفرج ويسهل على المتزوج غض بصره وحفظ قلبه من الـوسـاوس والأفكـار التى تدهم الشاب العزب ، فهو صيدها الثمين وفريستها الغالية .

والعـزب صديقـه الشيطان . . يتبعـه أنى ذهب ويدعوه ويزين له السبيل إلى هذه أو إلى تلك ، يعرض له فى كل موقف حتى أثناء الصلاة ويلح عليه ليصرفه عنهـا .

وقـد قال فياض بن نجيح « إذا قام ذكـر الـرجـل ذهب ثلثا عقله وبعضهم قال : ثلث دينه » .

لذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : « لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح » وقال من بعث متمما لمكارم الأخلاق فى دعائه :

« اللهم أنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومَنِىِّ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله » لأن إقباله على حلاله إرضاء لزوجة ولنفسه من ناحية وأحفظ له عن التفكر فى الوقاع مع غيرها من ناحية أخرى .

« هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » (١) .

وقال الرسول الكريم وهو نموذج فريد للإنسان الكامل :

« لاتدخلوا على المغيبات (وهى التى غاب عنها زوجها) فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم » .

وقد أراد الله أن يكون النساء متعة غالية للرجال يسعون إليهن لتكتمل دورة الحياة « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » (٢) .

بل إنهن خير متاع الدنيا كما قال النبى محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين « الدنيا كلها متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » .

وهن إحدى الجوائز الكبرى التى سيكافىء بها الله المؤمنين الصالحين إذ وعدهم بالحور العين فى الجنة .

« وحور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام » (٣) .

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٣ .

(٣) سورة الرحمن ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

والحق أن الشباب يتعجل الزواج ولا يملك الفرار من التفكير فيه والعمل على تحقيقه اليوم قبل الغد تلبية لنداء الجسد بدفع غائلة الشهوة . . وهى فائدة إنسانية أولى من فوائد الزواج وتأتى بالنسبة للبشر أهم من البنين ، ولكننا قدمنا الفائدة المرجوة من الزواج تنفيذا للحكمة الإلهية قبل فائدته الإنسانية . . لأن الشباب قبل الزواج لايفكر فى البنين وإنما يحصل ذلك بعد أن تهجع النفس ويطمئن الجسد إلى ما رغب .

٣ ـ تدبير شئون المنزل :

خلق الله الرجل وسوَّاه للعمل والبناء والكد والشقاء ، والسعى فى جلب العيش له ولأولاده ، والجهاد فى سبيل الله والأوطان والتفرغ للعبادة ، وخلقت المرأة لكل شىء آخر يعينه على تأدية المهام المنوطة به والأعمال الموكلة إليه . . وجرت العادة أن تلزم بيتها تدبر شئونه وتتكفل بما يحتاجه من طهو الطعام وتنظيف الأوعية وترتيب الفراش ورعاية الأولاد وتهيئة أسباب العيش اللائق والمريح لهم ولزوجها .

والعمل الذى تقوم به المرأة لايقل قيمة عن عمل الرجل ، بل ربما يفضله ، لأن رعاية الأولاد مثلا مهمة بشرية على أعلى درجة من الأهمية والخطورة ، وهى إذ تطعمهم وتعلمهم وتربيهم التربية السليمة إنما تعد لمستقبل الأمة على أفضل ما يكون . . وبيتها هو المعهد الذى يتخرج منه رجال الغد وقواده . . وهذا ما دعا الشاعر إلى أن يقول :

والأم مدرسة إذا أعددتها . . أعددت شعبا طيب الأعراق

وقال محمد بن كعب القرطى « إن الله يشير إلى المرأة الصالحة المعينة على الحياة فى قوله تعالى : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة »[1] .

---

(١) سورة البقرة ٢٠١

أما طه الحبيب صلى الله عليه وسلم فيقول : « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » .

وهو بهذا جمع ذكر الله وشكره مع الزوجة الصالحة . .

عزيزى القارىء . . ليست الزوجة التى تضع يدها بإخلاص فى يدك معينة لك على الدنيا فحسب ، ولكنها صاحبة الفضل فى إتاحة الفرصة لك كى تفكر فى آخرتك وتسعى لها . وتدبير شئون البيت إعداد لقدس أقداس حياة الرجل كما يقول جوردون ، ففيه ينسحب من كل العالم ويغلق بابه وينفرد بخاصته ، هو مخزن القوة ومجدد الهمة ومعيد النشاط ومقر الراحة من تعب العالم ونصبه ومصدر الإلهام لكل معاركه وأعماله فى الحياة . وهو الذى قال أيضا : إذا أردت أن تعرف هل فلان سعيدا فى حياته أم تعيسا . . زره فى بيتـه .

٤ ـ الترويح عن النفـــس :

إذا كان الإنسان خلق ليعمل ويكد سواء كان رجلا أو امرأة وأن يشقى ساعات فى النهار ، ليعول نفسه على الأقل ويلبى مطالبـه عيشه وبعد ذلك عليه أن يفرغ ساعة أو بعض ساعة لعبادة ربه بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والاستغفار ، فما أحراه بعد هذا كله أن يبتهج ، ويولى وجهه نحو الصـديق الأول وشريك العمـر ، فيأنس إليه ويريح النفس بمداعبته ويأتنس بمجالسته والنظر إليه وملاعبتـه .

فمهما مال الإنسان للعمل وأقبل عليه فلا بد له من الراحة ، ومهما أسرف الإنسـان فى الجـد والصرامة فلا مفر من المرح والفكاهة ، لأن النفس ملول ، ومداومة الكد تضعف البدن كما توهن النفس .

والرجل حين يداعب زوجته يزيل كربها ويريح قلبها ، وحين تلاعبه

امرأته وتمسح بيدها الرقيقة على جبينه المكدود ، تخفف عنه أعباء النهار الثقيلة وتصرف عنه هموم العمل ومشاكله . . فما أقدر الحنان والرقة على تخليص الرؤوس من المتاعب .

وإذا رجعنا إلى الأحاديث النبوية ألفينا الرسول يلخص القضية بقوله « لايكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث . . تزودٍ لمعادٍ أو مَرمَّةٍ لمعاشٍ أو لذةٍ فى غير مُحرَّمٍ » .

والرسول بهذا يرى أن كل حركة الإنسان ليست إلا سعيا لتحقيق أهداف ثلاثة هى الاستعداد للقاء الله بعبادته ، وتوفير العيش له ولأسرته ثم الاستمتاع باللذة الحلال ، ترويحا عن النفس وشفاء للروح وتفريغا للقلب وتطرية للبدن ، لأن لنفسك عليك حقا ولبدنك عليك حقا .

وقال الإمام على رضى الله عنه : « روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت » .

وكان أبو الدرداء يقول : « إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو لأتقوى فيها بعد على الحق » .

ومن هذا المنطلق يعتبر الزواج دعوة ربانية سامية تدرك حاجة الإنسان وطبيعته ، انها دعوة للإنسان كى يداعب ويعبث كما يشاء على أن يكون فى كل ما يسلك داخل الإطار الإجتماعى والشرعى .

لقد قضت رحمته سبحانه ألّا يطلب منا فقط إرهاق أنفسنا بالأفكار والأذكار وصنوف الأعمال والجهاد فى سبيله ، بل إنه يأمرنا أيضا بالتمتع ويدعونا للإبتهاج والأخذ بكل مايسّره من اللذات بصورة تسمح لنا بالحركة والإنطلاق دون الإعتداء على الآخرين أو جلب التعاسة لهم . . والنص القرآنى واضح فى هذه الآية الكريمة :

« ولا تنس نصيبك من الدنيا » [1] .

وكما هو واضح فى دعوة الله لنبينا المصطفى حين أقبل على العبادة بعنف فنزلت الآية « طـه .. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » [2] .

٥ ــ التعـارف وكثرة العشـيرة :

كما يُعد الزواج الوسيلة الأولى للإنجاب والتكاثر فهو الوسيلة المثلى للتعارف وزيادة الأهل بالترابط بين العشائر .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير» [3] .

فبدون الزواج يظل العالم كله عبارة عن مجموعات صغيرة جدا ومنفصلة لا رابط بينها ، ورابطة المصاهرة أقوى الروابط ، لأن الدماء والأنساب تختلط والنفوس تتحاب والقلوب تتعانق والأيدى تتشابك فيزيد الحب والإحترام وتزدهر المنافع .

والفرد الذى يتزوج من أسرة لها سبعة أبناء مثلا لاترتبط عائلته بعائلة الزوجة فقط ولكنه أصبح يرتبط بنحو عشر عائلات وقد تزيد .

ولذلك قالت جدتى « إن ما كانش لك أهل ناسب » .

٦ ــ حسـن الخلـق :

الزواج يؤدى فى تصورى إلى حسن الخلق ، ويكفى أن نلاحظ مشاعر

---

(١) سـورة القصـص ٧٧ .
(٢) سـورة طـه ١ ، ٢ .
(٣) سـورة الحجرات ١٣ .

الزوج تجاه زوجته ، وشعورها نحوه . . كيف أنه يكد ويتعب كي يشترى لها ثوبا أو قطعة حلى أو حذاء ، وربما هو أحوج إليه منها ، وهى لا تأكل حتى يؤوب إلى داره ولو آلمها الجـوع .

بالزواج تتعمق الرغبة فى العطاء والمنح . . وقد يكون كل منهما فى بيت أهله أنانيا ، يبحث فقط عما يخصه ، ولا يفكر إلا فى الأخذ والإمتلاك أما بعد الزواج فآخر من يفكر فيه هو نفســه . .

ومع الأمومة يتجسد المثل الأعلى للتضحية والحنان وفى الأبوة يتبدى البـذل والإيثـار ، والسعادة للأب كل السعادة حين يرى أبناءه فرحين بالثياب الجديدة أو بالفاكهة واللُعَب . . ساعتها وهو ينظر إلى البهجة ترقص على وجوههم يكاد يطير سعادة فيشكر الله على فضله ورزقه الذى أسعد أبناءه .

ومن هنا يتسرب الصفاء والرضا إلى القلوب ، ويتنبه الأزواج إلى كرم الله وعظمته فيحولون جزءا من وقتهم لعبادته وشكره ، ويبدأ الإحساس بالمسئولية الإجتماعية ويدركون فى الحال قيمة آبائهم ويحللون بالوعى أعمالهم ومواقفهم ويحاولون الاستفادة من خبراتهم ، ويتحقق للبشرية كثير من التـوازن فبعـد الأخذ الدائم والطيش والجموح والأنانية وقلة الطاعة والنفور ، يتميز الأزواج بالعطاء والإيثار والطاعة والميل إلى الهدوء والأدب والحرص على السيرة الحسنة ، بعد أن كان ذلك لايعنيهم بالمـرة .

وقال الرسول الكريم يمتدح حدب الرجل على أهله « ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقه ، وإن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته » .

فليس غريبا أن يلقى الرجل الذل والعنت أحيانا فى عمله ويرضى ، كى لايحرم من أجر يوم يستطيع به أن يقضى حاجة لزوجته ، فتهنأ به وتُسرُّ ، وهذا بالنسبة له أكبر المنى .

وقال ابن المبارك وهو مع أخوانه فى الغزو :

« تعلمون عملا أفضل مما نحن فيـه ؟ »

قالوا : ما هـــو .

قال : رجل متعفف ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيـــه .

والعلاقة بين الزوج وزوجته تفرض معاملة خاصة تعلو وتهبط مع كل مناسبة وقد يتشاجران فى أعقاب نقاش حاد بسبب مشكلة ما ، ولكنهما يعلمان جيدا أنهما يستقلان معًا زورقا واحدا فى البحر ، وعليهما الحرص عليه وإلا انقلب ، فتجـد التسـامح أحيانا والصبر والعفو وقوة النفس وامتلاك ناصيتها عند الغضـب .

قيل إن قومـا دخـلوا على يونس النبى عليه السـلام ، وأصر على ضيافتهم فقبلوا ، ودخل إلى منزله يطلب أشياء ثم خرج وفى اعقابه امرأته تسبه وهو ساكت وحدث هذا عدة مرات ، فتعجبوا من ذلك ، فقال لهم :

ــ لاتعجبوا ، فإنى سألت الله تعالى وقلت :

ــ ما أنت معاقب لى به فى الآخرة ، فعجله لى فى الدنيا .

فقال : إن عقوبتك أن تتزوج بنت فلان فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منهـا ، وفى الصبر على ذلك رياضة النفس ، وكسر الغضب وتحسين الخلق ، فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لاتترشح منـه خبـائث النفس البـاطنة ، ولا تنكشف بواطن عيوبه ، فحق على

سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات ، واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه .

وقصة نبى الله يونس مع زوجته مجرد مثال نوضح به ما يلقاه أحيانا الزوج من زوجته ، أو تلقاه الزوجة من زوجها ، وكم تلقى الزوجات على أيدى أزواجهن من الإساءة والإيذاء ، مالا يتفق مع أى خلق أو دين أو حتى ذوق ، ولكنهن صابرات احتراما للرباط الوثيق وحرصا على الكيان الإجتماعى ورعاية للأولاد . . فلذات الأكباد وانقاذا لهم من التشرد والضياع .

أقول إن قصة يونس ليست إلا مثالا أرجو ألا يحتـذيه زوج . فمثل هذا النوع من العلاقة علة لا علاج لها ، وأفضل من استمرارها الفراق ، لأن المصيبة لن تقتصر على فساد ما بينهما من الود ولكنها ستودى بالأولاد ، وتصدِّر للمجتمع بذور الجريمة والفساد .

٧ ـ ترقيـــــة النـوع :

الشاب الذى انتهى من دراسته وأصبح موظفا فى شركة كبرى أو فى هيئة حكومية ، ماهى المرحلة التالية بالنسبة له ؟ هل هى العيش منفردا ينـام وقت يشاء ، ويصحو متى يشاء . . يأكل ما يريد ويذهب حيثما يرغب وكفى ؟ . . ما هو الهـدف الـذى يسعى إليه بعد ذلك ؟ أم أنه سيظل بقية عمره كذلك .

بالنسبة لعموم البشر ليس هناك هدف محدد بدون الزواج لأن الزواج بداية لمرحلة تتجـدد معها الأهداف ، وبدونها لاهدف . . أما بالنسبة للعباقرة والأفذاذ من العلماء والمتصوفة ، فالأمر يختلف وهم على كل حال

لايمثلون إلا نسبة ضئيلة ، لاتتجاوز واحدا فى الألف وحديثنا هذا موجه إلى الـ ٩٩٩ الباقية من كل ألف . .

ومن هنا تتجلى أهمية الزواج بوصفه إطارا اجتماعيا لترقية الإنسان من منطلق الإهتمام البالغ الذى يكنه الوالدين لأبنائهما ، وكلنا يعرف الحب الغامر والدائم الذى يحمله الآباء للأبناء ، الأمر الذى لم يتطلب نصا قرآنيا أو توصية نبـوية للآبـاء كى يتقوا الله فى أبنائهم و أن يقوموا على تربيتهم ورعايتهم ، وقد حدث العكس .

كلنا يعرف هذا الحب والآمال الكبيرة التى يعلقها الآباء على الأبناء لا لأنهم سيصبحون رجالا ذوى نفع لهم ، ولكن الآباء يثلج صدورهم أن يحتل أبناؤهم أرفع المناصب ، وهذا هو هدفهم الفطرى الوحيد الذى يبذلون حياتهم كلها من أجلــه . .

فإذا كان الله قد خلق الآباء وساعدهم على الإنجاب ، فهؤلاء الأبناء من صنعهم ومن خلق أيديهم ولابد أن يكونوا شيئا غير عادى ، نماذج لكل الأبناء فى النظافة والجمال والعلم والأخلاق بل والقوة أيضا والسلطان .

والأسر المصرية بالذات ربما تختلف عن غيرها من الأسر فى كل دول العالم . . فقد ضربت المثل فى التنافس وبذل الدماء والأرواح لتحقيق أعلى درجة فى ترقية أبنائها .

فكم جاءت أسر وتعرت وحفيت ، وسكنت الخلاء وتعرضت لأقسى المواقف وذاقت مرارة الذل والهوان وهى صابرة وراضية ، تحرم نفسها من القـوت الضرورى سنـوات طويلة وتقـدمـه لولدها حتى يصبح متعلما ويتخرج من الجامعة طبيبا أو مهندسا ، ضابطا أو محاميا . . وكم خابت

آمـال ، ولكن القافلة لازالت تسير والآمال تتجدد والقلوب لم يهجرها الحب ولا تزال تواقة لخلق أجيال جديدة أكثر علما وأدبا وسلطانا .

هذه أهم ميزة فى رأيى يتسم بها زواج البشر . . إنـه محاولـة جادة ومتحمسة ليس فقط لبناء الحاضر ولكن العمل على بناء الغد أيضا .

إن البشر من خلال الـزواج لايسعـون لتطوير حياتهم فقط ولكنهم يفكرون ويعملون من أجل الأحفاد وأحفاد الأحفاد ، وهذا هو سر تقدم البشرية المذهل الذى لم يتحقق طبعا للحيوانات ، لسبب بسيط هو أنها لاتشغل بالها بالأبناء ولا أحوالهم فى المستقبل .

فهل كان بالإمكان أن يحدث التطور الهائل لكل ماهو فوق الأرض لو كان الـزواج مجرد وسيلة لإنجـاب الـولد ودفع غائلة الشهوة والقيام بشئون الحياة ، إنه بهذه الحدود لايختلف عن تزاوج الحيوان ، والزواج بهذا وسيلة مثلى تخلق هدفا للحياة ، وتعمل على تطويرها ودفعها نحو هذا الهـدف .

٨ ـ الصحة وَسـلامة المجتمـع :

بقـاء الشباب بلا زواج يدفع عنه غائلة الشهوة فى إطارها الشرعى السليم يعرضه لأمراض كثيرة ، أحدثها الإيدز ، وقبله قائمة طويلة من الأمـراض التقليدية النـاشئـة عن التصرفـات الجنسية غير الشرعية ، كالزهرى والسيلان والقرحة الرخوة والقرحة الأكالة ، والزهرى يقود إلى الشلل وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية ، ويؤدى السيلان إلى العقم والتهـابات الجهاز التناسلى وقد يفضى إلى العمى ويكفى للدلالة على ضرر البقاء بلا زواج أن بعض الشباب فى الريف يلجأون ـ حين تركبهم

الشهوة - إلى جماع الحيوانات . . إنه المستوى الذى هبط إليه الإنسان إذا سلك طريقا غير الزواج لقهر الغريزة الملحة .

والزواج يحقق للفرد كثيرا من سبل النظافة والتطهير فضلا عن الغذاء السليم والجيد الذى يقدم له فى مواعيد منظمة أو شبه منظمة وفائدة ذلك للجسم والنفس كبيرة ومشهودة ، أما عن سلامة المجتمع وطهارته ، فحديث الرسول فى هذه المسألة واضح وصارخ إذ يقول :
« إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

ويضج مجتمعنا الآن بالسخط والغضب على حالات كثيرة من الاختطاف والزنا بالقسر دون مراعاة لحرمة أو سن ، فقد وصل الأمر بمجموعة من الشباب عديمى التربية ان اقتحموا شقة واختطفوا سيدة متزوجة من بين أولادها وهربوا بها ، وحادثة المعادى لاتحتاج إلى عرض وأعقبتها حادثة مصر الجديدة ، حيث شهد الحى الراقى قيام ستة من الشباب باختطاف طفلة فى الرابعة عشرة والاعتداء عليها فى شقة أحدهم . . وهل تفعل الحيوانات البرية مثل ما يفعل أبناء البشر . . وخلفاء الله فى الأرض !

فما مصير الفتاة وما مصير الشباب وما مصير الأسرة كلها والأهل وما موقف الجيران والأصدقاء ؟ . ولا تسأل عن القضاء المصرى فى هذه الأحوال ؟ .

لأنه رقيق رحيم يشفق على المجرم من العقاب ويشفق عليه من تشويه السمعة ، ويأبى أن يقيم الحد على الأثم ، ويؤثر على ذلك الحوار الطويل والدفاع والمذكرات والمرافعات والتأجيل تلو التأجيل برحابة صدر وطول بال . . ولا تنتهى هذه التعلات السقيمة التى تستهلك سنوات

وبعدها ، يصدر الحكم وهو فى العادة بلا قيمة لا للجانى ولا للمجنى عليــه .

ولن ينصلح حال هذه البـلاد فى كافـة شئـونها بالنظريات والأفكار المستوردة ولا بأى وسيلة إلا إذا انتفض القضاء المصرى وشد عوده ورفع رأسه وكوَّر قبضته ووجه ضرباته للأوغاد ، وحطم بها رؤوس العابثين ، وسوف تكفيه ضحية واحدة ليرتدع الباقون ، ولو لم يكن هذا خلق الله الذى يدرك طبيعة ما خلق لما قال :

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألبــاب » .

هل يمكن أن يتصور أحد أن الجزار الذى اغتصب طفلة فى روض الفرج ثم ذبحها حكمت عليه المحكمة بعشر سنوات سجن . . سوف يخرج قبل أن يكملها . . لك الله يا مصـــر .

وأخـيرا سمعنـا عن هروب ثلاثة من المجرمين الخطرين من عنبر ٨ بمستشفى الأمـراض العقلية وكـان البوليس قد قبض عليهم ووجهت إليهم المحكمة تهمة الإغتصاب والقتل والسرقة بالإكراه ومع ذلك كانوا بالمستشفى دون حراسة . . استر يارب .

وبـالمناسبة فمعظم القتلة فى مصر يطلبون تحويلهم - بناء على حيل المحامين - إلى مستشفى الأمراض العقلية وبعدها إما أن يُعَد لهم تقرير يؤكـد اختـلال عقولهم وعدم مسئوليتهم عما فعلوا ، وإما يتم تهريبهم أو . . أو البحث لهم عن حل . . أما الحقوق والأخلاق فمازالت تنتظر من يسأل عنها أو يقرر مصيرهـــا .

وللـزواج عيـــــوب

الكـمال لله الواحد القهار ، وما سواه لايتمتع بالكمال أبدا . . ومع ذلك فكل شىء وكل شخص له من الكمال نصيب ، وتتباين الأنصبة من النقص والكمال ، كما تتباين من القبح والجمـال .

والزواج ككل علاقة وكل شىء ، له مزاياه وعيوبه . . وقد وجدنا فيه ماهو فائدة للبشر وصلاح ، ولعل فيه ماهو آفة لهم وضر . . ومن أشهر آفاته مايلى :

١ ــ العجز عن الإنفاق واللجوء إلى الحـرام :

قبل الزواج يعيش العزب عيشة حرة ، لايدرك خلالها حجم الإنفاق الحقيقى للأسرة ، لأنه إما يعيش مع أهله ، وهو عندئذ يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون . . لايدرى بالضبط كم ينفقون فى اليوم أو الشهر ، وحتى لو أمـدهم ببعض العـون أو المشـاركة ، لايهمه أن يعرف نسبة مساهمته ، والأهل يرفقون به ، ويعدون مايدفعه فى طلب المعيشة فضل منه ، يستحق به خدمة خاصة ورعاية مضاعفة .

وإذا كان عزبا يعيش حياة مستقلة فهو ينطلق فى الإنفاق ـ قليلا أو كثيرا ـ بلا ضابط أو حساب حتى ينفد ماله فيقترض إذا كان ممن يرضون الدين أو ينكمش ويقبض يده إذا كان حريصا على كرامته وراحته النفسية فى الليل والنهـار . .

وتمضى حياة العـزب غالبا على غير نظام . . فقد يفطر وقد لايفطر وربـما يتناول عشاءه فى البيت أو مع الأصدقاء ، وحينا يتغذى بالجبن

والزيتون وحينا بالكباب . . والأمر على أية حال يختلف تماما بعد الزواج فهو منذ أول صباح يجب أن يستعد ليوفر الفطور لزوجته حتى لو لم يفطر هو . . ومع الفطور لابد أن ينظر كيف سيوفر الغذاء له ولها . . وهكذا مع كل يوم تتجدد المطالب ، وهو ما يدفع الرجل أحيانا ـ مع نفاد ماله ـ أن يمد يده إلى الغير مقترضا حتى لو لم يعتد ذلك ، وحين لايوافيه الغير بما يكفيه أو يسأم هذا السبيل لسبب من الأسباب ، فإنه يتسلل إلى دائرة الحرام تحت ضغط الحاجة الملحة للوفاء بالتزاماته إزاء شريكة مسئولة منه .

وتحمله قدماه إلى مداخل السوء ، وإن فعل فقد بدأ طريق الفساد وباع نفسه للشيطان ، ووقّع وثيقة تنازل فيها عن دنياه وآخرته .

وحياتنا المعاصرة مثال صارخ لهذه الحياة المتردية . . فالرجل قد يستطيع أن ينفق على بيته ويوفر له الحاجات الضرورية ، لكنه قد يتبع هوى زوجته وعياله فى المطالب الزائدة والتى لايقدر عليها وهى فى الأغلب مطامع مادية قاسية ، يندفع وراءها بعض الأزواج دون أدنى درجة من تفكير أو ترتيب ولك أن تتصور عاملا بسيطا وهو يورط نفسه لشراء فيديو تلبية لرغبة زوجته وأولاده ، وموظفا صغيرا عنده ثلاجة ٨ قدم يبيعها رخيصة ـ حسب خطة الزوجة الفالحة ـ ليدفع ثمنها كله مقدما فقط لثلاجة بباين ١٢ قدم والباقى على ٢٤ قسطا شهريا يلتهم ثلث مرتبه . . أىُ ضَعْف هذا وأى خور ! . . ويضطر بعد ذلك أن يرتشى ليأكل ، أو يسرق ليشترى الكساء ويدفع أجرة البيت أو يحمل ولده لطبيب . . والأمثلة للأسف بالآلاف . .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن

ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا تبقى له حسنة ، فتنادى الملائكة : هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا ، وارتهن اليوم بأعماله » .

وقال السلف : إذا أراد الله بعبد شرا ، سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه .

والأنياب فى هذه الأيام بلا حدود ، وقانا الله شرها وشر كل حرام ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدى الله تعالى ، ويقولون : يارب خذ لنا بحقنا منه ، فيسألهم الله عما فعل ، فيقولون : لم يعلمنا ما نجهل ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص الله منه .

٢ ـ التقصير فى الحقوق :

هما أمران أحلاهما مر ، فإما أن يكون الزوج ذا حماس يحرص على الوفاء بكل ما يطلب أهله فينزلق إلى الحرام ، كما رأينا فى الآفة الأولى وإما أن يقصر فى حقوقهم ويهمل أدنى المطالب ، والمفروض أنه مسئول عنهم وراع لشئونهم ، فإذا أهملهم ضاعوا . .

يقول الرسول « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » .

وهناك من تعوزه الحيلة للوفاء بحقوقهم أو يعجز عن أن يكون لهم سندا فى الحياة وعونا ، فيفر منهم ، ويهجر العيش معهم ، ويبحثون عنه فلا يجدون إليه سبيلا .

وهذا أمر منهى عنه ، وهو عند الله مذموم مكروه ، وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد العاصى لاتقبل له صلاة ولا صيام ، ولذلك يؤثر بعض الرجال ترك الزواج خوفا من هذا التقصير والعقاب الناتج عنه فى الدنيا والآخرة .

٣ – الإنشغال عن العلم والعبادة :

يتطلب تدبير أمر المعيشة البحث عن المال وجمعه ، والإنصراف إلى رعاية الأولاد نفسيا وأخلاقيا . . الأمر الذى يقتضى صرف كل الوقت فى تلبية اغراضهم وتوفير حاجاتهم المادية مع صحبتهم ومراقبتهم فى الطعام والشراب والسهر والنوم . . وليست تربية الأبناء مجرد توفير المال ولكنها مهمة أبدية لاتتوقف أعباؤها ساعة . . والزوج والزوجة فى حالة استعداد دائم للإجابة ويكفى أن نحسب مايضيع من عمر الإنسان ـ وخاصة مع ظروف بلادنا الحالية ـ وهو يطوف بالأسواق ليشترى اللحم ويحصل على الخبز أو يبحث عن الصابون والزيت .

لاريب فى أن قضاء هذه الشئون يعنى التهام الوقت المتبقى بعد العمل وجمع المال . . فماذا يبقى لطالب العلم أو طالب رضا الله بالعبادة ؟ .

وفى هذه المسألة بالذات تكمن كل عيوب الزواج بالنسبة للصفوة من المفكرين والعلماء وكذلك الصوفيين العتاة لأنه يصرفهم عن حبهم الكبير والوحيد وشغلهم الشاغل ، وهو منتهى رجائهم وأملهم . . بل هو حياتهم ذاتها .

ومع كل هذه العيوب فإن الإنسان ببعده عن الزواج لايثق بنفسه ألاّ يزنى وأن يغض بصره ، وإذا ملك نفسه فى ذاك كله ، تعذر عليه أن ينصرف إلى دينه أو علمه وفنه .

وبالإمكان تلبية حاجة الطبيعة الإنسانية بالزواج ، ولكن دون كثرة من العيال ، فيكفى واحد أو إثنان ، وإذا تجاوز الأبناء هذا العدد فلا أمل على الإطلاق أن يحقق العالم أو الأديب شيئا مما يبتغى .

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ، ولكنه يتطلب كذلك زوجا قوى الشخصية متماسكا يقاوم الأمواج التى تدفعه للتخلى عن مشروعه والسعى فى جلب الأموال والتوسع فى النفقة ، فهى سبيل كل فاقة وطريق كل ضياع وفشل .

وليس الرسول مثالا يحتذى إذ جمع بين فضل العبادة وعبء الزواج من تسع نساء ، لأنه عالى الدرجة مؤيد بالعناية الإلهية ولم يمنعه أداؤه الواجبات الدنيوية من حضور القلب مع الله تعالى . . فكان ينزل عليه الوحى حتى وهو فى فراش امرأته .

أما سيدنا عيسى عليه السلام فقد مَلَك نفسه وآثر التخلى للعبادة وطلب الهداية لأمته .

الفصل الثانى

ماذا تعرف عن المرأة ؟

الـزواج من أول نظـــرة :

لشاعرنا الكبير أحمد شوقي بيت مشهور يقول فيه عن الخطوات المؤذية إلى الحب : نظرة فابتسامة ، فسلام . . فكلام ، فموعد ، فلقاء

والمفروض ان اللقاء تعقبه لقاءات إلى أن يستطيع الشاب أن يقرر هل الفتاة التي تعرف عليها وجذبته إليها يمكن أن تكون زوجة مناسبة أم لا . . ولكن ما يروع حقـا أن تجد بعض الشبـاب يؤمن فقط بنظرة ، فابتســامة ، فزواج . نعم . . كثير من الشباب يلقى بنفسه فى ميدان الزواج وعالمه الفسيح وليس فى ذهنه فكرة عن جانب واحد من هذا العالم اللهم بعض الاهتمام الذى يصرفه للتفكير فى « ليلة الدخلة » وبعدها شهر العسل وأين يقضيه . . هذا هو الزواج ومعانيه ودلالاتـه وأبعاده فى نظر بعض الشباب وكأن هذا الزواج مشوار إلى الإسكندرية ، أو رحلة إلى مدينة أوربية لقضاء عدة أيام سعيدة يختطفها من الزمن العابس .

وينسى أو يتنـاسى أن الزواج ليس مجرد علاقة رجل بامرأة أو مجرد تكوين أسرة صغيرة ، ولكنه توقيع عقد لتأسيس شركة كبرى لاتنفصم عراهـا أبدا أو المفترض أن تكون كذلك ، وهذه الشركة لها رأس مال وشركاء يجب أن يفهم كل طرف فيها الأطراف الأخرى فهما جيدا ويحبه ويخلص له ويعمل معه بكل الجهد والوقت والعقل على تنمية هذه الشركة ورعاية ما يتبعها من مال وعيال . . شركة قد تدوم خمسين عاما تعقبها مئات الأعوام ، شركة يؤسسها الرجل والمرأة لتعمر فى الأرض وتتغلغل

فى الـزمـان والمكان وتصبح بمرور الوقت وجودا حقيقيا له آثاره وصيته المتميز بالفشل أو النجاح .

ومن هنا يدهش الإنسان إذ يفاجأ بصديق يزوره لأول مرة فيطل من النافذة ، فإذا فتاة أمامه فى نافذة أو شرفة بيت مجاور ، تقع فى قلبه موقعا حسنا ، فيقرر الزواج بها فورا .. وقد يمشى فى شارع لأول مرة ويلتقى بامـرأة باهرة الجمال أو أنيقة المظهر رشيقة القد ، فيقرر ألا يدعها أبدا تفلت منه ، ويقتضى أثرها ويعرف بيتها ويصر على خطبتها قبل أن يدرس خصالها ويطمئن إلى منبتها . . زواج يقوم على إصدار قرار سريع . . والغريب أن من الرجال من يدخل عشر محلات ليشترى بنطلونا واحدا وقـد يدور فى السـوق كله عدة دورات ليشـترى كيلو طماطم ، وعنـد الزواج ، ينظر فيحب فيخطب . . مسألة غريبة وسلوك عجيب . . آن الآوان كى ينصرف عنه الرجال .

فليس كل من بلغ به الجوع حدا بعيدا يقبل أن يجمع من الأرض بعض الثمرات ويلقى بها فى جوفه دون تأمل أو غسل أو حتى ينفخ عنها ما علاها من تراب . .

والمرأة هى الشخص الوحيد الذى يمكن أن يسعد الإنسان إذا أحسن اختياره وتأنى قبل القرب منها والمضى فى طريقها . . المسألة تحتاج إلى معرفة . . معرفة دقيقة . . فماذا تعرف عن المرأة . . ؟

قد يعتقد البعض أن الإجابة على هذا السؤال بديهية . . والواقع أن ذلك غير صحيح ، لا لأن المرأة لغز كما يتصور بعض من لايعرفونها ، وكما يظن أصحاب التجارب النسائية الفاشلة ، ولكن لأن التعامل معها

لايزال حتى الآن يتم في شبه سرية وعزلة ، ولا زالت أخطر التجارب وأهمها لم تكتب بعد .

صورة المرأة غامضة :

وهذا الفصل محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على بعض جوانب المرأة وأزعم أن بعض ماسيرد فيه من آراء سيدهش الكثيرين أو يستفزهم ، ومن المتوقع مقدما أن يضع بعض القراء أيديهم على نقاط خلاف مع ما ذهبت إليه ، وهذا طبيعى ، وسوف يكون لهذا الفصل بالذات من الكتاب فضل إثارة الحوار الملتهب حول عدد من المسائل ، ومن المرجح أن ينتهى الرأى فيها لصالح المرأة ، لأنه سوف يسهم فى توضيح صورتها الغامضة فى نظر الرجال . . خاصة وأن المرأة مخلوق خاص جدا . . متميز جدا . . يجمع عددا من المتناقضات الهائلة التى يمكن فى لحظة واحدة أن تشكل عالما متسقا ومنسجما رائعا وقد يكون هذا العالم مظلما ومخيفا ومدمرا .

ويعزى إلى هذه الصورة الغامضة إحساس البعض بأنها لغز ، واعتقاد آخرين بأنها صنف يختلف عن صنف الرجال .

والواقع أن المرأة والرجل من نوع واحد ، خلقهما الله من نفس واحدة ، أناط الله بها مسئولية إنسانية كما كلف الرجل مثلها بمسئوليات وحمله تكاليف .

ولقد تعامل معها الدين الإسلامى تعاملا منفردا لا من خلال الرجل ولكن بوصفها كائنا عاقلا حرا ومستقلا ، لها ما للرجل من ثواب وعليها ما عليه من العقاب ، من منطلق قناعة ثابتة هى أن دورها فى الحياة لايقل عن دور الرجل ، وكيف يكون دورها أقل ولا حياة بدونها ، وحسبها أنها

تمثل فى الدنيا ما تمثله الأرض التى تستقبل البذرة فتحتضنها وتغذيها وترعاها وتنميها وتمدها دائما بماء الحيـــاة .

وإذا جاز أن نتصورها كذلك جاز لنا أن نتصور الرجل بمثابة الشمس التى تمنح الحرارة والدفء والنـور .

وأتصـور ـ ربما مخطئا ـ أن شباب اليوم لايدرى عن المرأة قدرا من المعرفة تكفيه كى يتعامل معها بحذق. ولست أفهم كيف يقدم الكثيرون على الزواج دون تسلحهم بما يلزم من العلم بأحوالها وطبيعتها . . وهم فى ذلك أشبه بمن لايفهم فى المقاولات ولمجرد أنه امتلك ثروة ، ما يلبث أن يلقى بنفسه فى المشروعات المعمارية ، وهو لايدرك أن وفرة المال لاتصنع مقاولا أو صاحب تجارة ، كما أن الطاقة الجنسية والشوق العارم للنساء مع الدخل المعقول ليست السبل المضمونة لزواج سعيد ، ولكن المسألة تحتاج إلى غير قليل من العلم بالشريك أولا .. لأن الزواج سواء رضينا أم أبينا شركة .. وأى شركة فى الدنيا لاتقوم على الفهم أولا ثم التفاهم والحب لن يكتب لها النجاح ، مهما توافرت لها عناصر إيجابية وامكانيات مادية مشجعة .

لابد إذن من الاقتراب من المرأة . . لابد أن نضع هذا المخلوق الهام والخطير فى حياة كل رجل ، بل فى حياة الحياة ـ إذا جاز التعبير ـ تحت المنظار، وأعترف أن المنظار مهما كان حديثا ودقيقا ، فسوف يكون قاصرا عن بلوغ التمام عاجزا عن الوصول إلى كنه وأعماق المرأة . . وهذا شىء طبيعى . . لأن التجارب والشواهد تؤكد أنه من غير الممكن الحصول على نتـائج ـ خاصـة مع الإنسـان ـ دقيقة مائة فى المائة ، لأنه مخلوق واع ومتقلب ، وأيضا عاطفى ، وقد يتجاوز هذا كله ليصبح أقرب إلى الجنون منه إلى أى حالة أخـرى .

فمن هـى المـــرأة ؟

من هو هذا المخلوق الـذى يشغلنا منذ عهد الصبا حتى لو لم نتنبه لذلك،من هو هذا المخلوق الذى يجذبنا إليه أكثر من أى مخلوق آخر ؟ أو أى شىء آخر ، ما هى أهم صفاته وملامحـــه ؟

إن بحثنـا عن صفـاتـه وملامحه لاينبع من احساسنا بغرابته بل من إدراكنـا لأهميتـه . . وسـوف تعنينا كثيرا معرفتنا بصفات المرأة فى ولوج عالمهـا ، أى عنـدما نفكر فى اختيارها زوجة للمستقبل وشريكة للعمر ورفيقـة فى الحياة . . والمثـل يقـول بكـل الحكمـة : اختر الرفيق قبل الطريق . أى ليس مهماً ماذا تنوى أن تفعل ، ولكن المهم من هو الذى يشاركك هذا الفعل لأنه سيكون ذا أثر بالغ فى تحديد نوع النتيجة لما تقدم عليه .

والـرجل مدفوع بحكم الغريزة التى وضعها الله فيه للسعى نحوها والبحث عنها ، والأسطورة الإغريقية حاولت قبل عديد من الإكتشافات العلمية أن تحدد ملامـح العـلاقـة بينهما وأصولها فذهبت إلى أن الآلهة خلقت الإنســان فى البـداية على صورة جســدين ملتصقين . . الرجل والمرأة . . ثم استدركت الآلهة لأن هذا المخلوق ربما يجمع قوة الرجل إلى دهاء المرأة ويصبح خطرا على بقية الخلق فقرروا الفصل بينهما . . وكل نصف يظل يبحث عن نصفه الآخـر حتى يلقاه ويحبه . . فيتكاملان وحينئذ سيربط الحب والجنس بينهما ويعيشان حياة مشتركة فى سلام بلا خطورة . .

المرأة إذن هى أحد أسرار الوجود . . بل إن السعى نحوها كما رأينا فى الأسطورة يمثل أحد أهداف الوجـــود . .

المرأة كتاب كبير يستحق القراءة بعناية ، ومن الأمتع والأنفع أن تقلب صفحاته باهتمام وتدبـر .

المرأة تجربة فى منتهى الأهمية . . وممارستها ومعاملتها والإكتواء بنارها والاستمتاع بمذاقاتها العديدة يثرى التجربة الإنسانية ، والسيطرة عليها سيطرة على الحياة ، وسيطرة على كل ما فيها ومن فيها ، والذى يسيطر على امرأته ويجرها خلفه بحذق ، ويجعلها لاتمل من الجرى وراءه ، بل تجد فى ذلـك متعتهـا الوحيدة يستطيع أن يسيطر على أعتى الرجال ، ويتحمل أعقد المسئوليات ومواجهة أشد الصـعاب .

التعـامل مع المرأة تجربة مثيرة ونافعة للإنسان وللبشرية ودافعة لكل عمل عظيم وخطير ، معمر أو مدمــر .

أما ما يستحق النظر بإمعان ويعد أحد عناصر دراما الوجود هو أن أى رجل يحاول الإنصراف عن المرأة واحتقارها يفقد الكثير من عمق النظرة وسداد الرأى فى كثير من المشكلات ، بل أنه ليحرم من مصادر العلم بالنفس البشرية .

والرجل بدون المرأة سجين فى عالم صغير ، بارد و راكد . . عاقل جدا ومنظم جدا إلى درجة الســأم .

من يحاول الإبتعـاد عنهـا وتجنب طريقهـا يحكم على نفسه بالذبول ويلعب لعبـة بلا معنى ضد الـطبيعـة ، هو بلا مراء الخاسر فيها مهما اكتسب وسوف يعرف ذلك بعد فوات الآوان . مثله فى ذلك كمثل الذى يسرف فى التجربة معها ويبالغ فى النهل من نبعها الفياض ، وهو بهذا يندفع صوب عالم غير عالمه ويلعب لعبة أكبر منه ، لن يخرج منها إلا بعد انكسار أجنحته وتحطيم ضلوعــه .

علم المرأة :

لابد أن ننبه قبل فتح كتاب المرأة أننا لن نعنى بالتأكيد على ماسبق أن تعرض له علماء الطب البشرى عن فسيولوجيا المرأة وتفاصيل أعضائها وأجهزتها المختلفة ، ولا ما سبق أن درسه علماء الطب النفسى فى تحليلهم للمرأة ودوافعها وغرائزها ، ولكننا سنحاول أن نمس نقاطا معينة بهدف إلقاء الضوء على جوانب نتصور أنها مجهولة ومظلمة من عالم المرأة .

جوانب يجب أن تضاء وتكتشف ، بل وتصبح معروفة تماما لكل شاب حتى يستطيع السير فى طريقه نحوها فى سهولة ويسر بلا خوف أو فزع وبدون التعرض لصخور أو حفر .

لابد أن يكون علم المرأة - إذا صح أن يكون لها علم - معروفا لكل رجل ، وما الذى يمنع أن يكون لها علم تتوفر له المعلومات الكلية والجزئية وتوضع له القواعد المنظمة لدرسه ، ومناهج البحث فيه ، ويستعرض هذا العلم الحالات الشاذة والنماذج النمطية وغير النمطية سلبا وإيجابا . .

أحسب أنه اقتراح يستحق البحث والنظر . . نعم ، مالذى يمنع من وضع أصول لهذا العلم الناشىء ؟ . وقد حاول الكثيرون المشاركة فى وضع لبناته ، لكنهم جميعا - فيما أزعم - لم ينفذوا إلى الأعماق لأنهم اعتمدوا على بحوث علم النفس فقط وربما الدين أيضا ، وهذه سبل مؤدية لاشك ووسائل نافعة ، ولكن الخبرة لها دخل كبير فى تحديد الملامح وتقديم مادة حية نابضة بالحقيقة ، وليس خير من التجربة والخبرة الفعلية فى ضوء سمات العصر ومعاييره .

ومن هنا فإننا لانخفى أملنا أن تتحول مجموعة المعلومات المتاحة فى

هذا الفصل وفى غيره إلى أفكار شائعة وسائدة عند الشباب ، يعرفون قواعدها ، كما يعرفون قواعد الشطرنج وكرة القدم ، أقصد من حيث الانتشار لا من حيث الدقة والإحكام .

وفلاح كل انسان يرتبط بالطبع وخبرته ومهارته وامكاناته العقلية والنفسية . . فقد أبدو مبالغا إذا اعتبرت أن أكثر مشاكلنا الإجتماعية وربما السياسية والإقتصادية أيضا نتائج حتمية ومباشرة أو غير مباشرة لسوء اختيار الزوجة ، وما يترتب عليه من اجراءات وتبعات وسلوكيات وأما سوء هذا الاختيار فهو نتيجة الجهل التام بطبيعة المرأة وصفاتها وامكانياتها بوصفها كما سبق القول مخلوق خاص جدا .

فهيا معا نطالع صفاتها ، ولا ننس أن نؤكد من جديد أن الصفات التى سنعرض لها هى أهم ما يعنينا معرفته قبل الإقدام على الإختيار .

صفــات المرأة البدنيـة :

يتصادف أن يذهب المرء إلى ملهى ليلى لقضاء سهرة نادرة وتطلع عليه - ضمن برامج العرض - راقصة لولبية تأخذ فى التلوى والإنثناء وجسدها البـارع يبرق فى الليل الأحمر وتطل بعض أعضائه المتألقة وتختفى ويجن الشاب الذى لم يكن قد رأى مثل هذه الأجساد المشعة وتبهره طلعتها ، فإذا كان من الأثـرياء ألقى تحت قدميهـا مئـات الجنيهـات ، إعجـابا بالمواهب الخرافية والمنح الإلهيـة .

ومنهم من يكتفى بالتمنى معتقدا أن مثل هذه الأجساد لايمكن أن تشبه من قريب أو بعيد أجساد النساء العادية التى يراها فى شارعهم أو حارتهم أو القرية التى جاء منها . . هذه الأجساد نوع آخر يختلف . . خلق خصيصا لهذه المهمة ولا قبل له بها ، وإذا بحث لنفسه عن زوجة ، فسوف يبحث عن مثل هذا الجسد الذى سيحقق له السعادة والهناء .

إلى مثل هذا الموقف ينتهى كثير من الشباب ، يبهرهم الجسد الأنثوى الذى تكشف عنه الأثواب الضيقة أو القصيرة أو ذات الفتحات ، ويعد خطته على هذا الأساس . . وهو أساس واه تماما وهش ، لأن أجساد النساء لاتختلف اختلافات جذرية أو خطيرة . . فكل أجساد النساء تقريبا متشابهة ، تتميز بالنعومة والرقة وبالأعضاء البضة اللينة التى يكفى أقلها طراوة لإثارة الرجل .

وقد قال الحبيب المصطفى « إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم إمرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن معها مثل الذى معه » .

وجسد المرأة يخضع لإدارتها ، فهى تستطيع أن تمشى بطريقة ما وترتدى ملابس معينة لتثير الظمأى وتبهر السذج ، وهى بهذا تريد له أن يلعب دورا ما لمجرد أن تستمتع بالنظرات المحدقة والقلوب المحترقة والألسنة المعلقة .

وربما تحسب أنها بهذا الجسد وبهذه الحركات المقصودة تبدو فى الحى فاكهة لذيذة ومرغوبة ، وعلى من ينوى التقدم نحوها أن يستعد بأعز ما يملك .

كل هذه الأساليب تخضع لإرادة المرأة وإدارتها وحنكتها ، والمرأة التى تعمل فى الحقل مع زوجها وتحلب البقرة وتدخل الحظيرة ، ومعظم وقتها تمضيه بلا أى زينة ومع الطيور والماشية وأمام النار تستطيع أن تصنع صنيع راقصة الملهى وغانية الليل ، لكنها لم تتمرس عليه أو تعد له وذلك يسير خلال أيام إلا أنها لا ترضى به ولو كان مصيرها الموت جوعا .

فالنساء إذن فى مسألة التشكيل الجمالى للجسد كلهن متشابهات وقد

يختلفن فقط فى الصحة وسلامة الأعضاء ولا يعول على اللون أيضا . . سمراء كانت أو بيضاء ولكن جمال الوجه وخفة الظل أهم مزايا البدن المرغوب .

صفات المرأة العقلية :

المشهور عند الرجال أن المرأة ناقصة عقل ودين ، وأغلب الظن أن للمصطفى عليه الصلاة والسلام حديثا فى هذا المعنى . . وبعض علماء يؤيد هذا الرأى اعتمادا على الآية الكريمة التى تعتبر شهادة الرجل الواحد تعادل شهادة امرأتين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »[1] .

وأكثر الذين يرجحون أنها ناقصة عقل انطلقوا أساساً من اعتمادها فى جل شئونها على العاطفة والوجدان ، وهذه صفة صحيحة وأكيدة لاتملك المرأة نفسها إلا الاعتراف بها ، وانكارها ضد طبيعتها التى خلقتها للحنان والاحتضان والأمومة والسكن .

وهناك من يربطون بين هذه العاطفية الزائدة كسبب لتراجع دور العقل وتضاؤله وعجز المرأة عن الوفاء بتكاليفها الدينية بسبب تكوينها الفسيولوجى . . فقيام المرأة بما فرض عليها من الصلوات لايتجاوز ثلثى العام لأنها لا تؤديها إبان الدورة الشهرية التى قد تدوم أسبوعا كل شهر .

وإذا حملت تعين عليها ألا تصلى وألا تصوم مدة الأربعين يوما التالية

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ .

للولادة . وهى لايمكن أن تصوم شهر رمضان كاملا أبدا إلا إذا كانت حاملا ، والحمل مرات قليلة فى العمر كله ، أو إذا تجاوزت سن اليأس وامتنع الحيض ولا يحين ذلك إلا عند بلوغها الخمسين من عمرها . . ما عدا ذلك من السنوات لن تتمه أبـدا .

أما بالنسبة لعقل المرأة فيشبه عقل الرجل تماما ، لولا غلبة العاطفة عليه فضلا عن عدم قدرتها على احتمال قواعد الفكر السليم التى يدرسها علم المنطق . . وهو علم بالنسبة لها جامد لايوائم ما تتميز به من مرونة وانـطلاق . . والحق أن المنـطق لابـد من احترامه حفاظا على كل فكر وتنظيما للقضايا وتوجيها للآراء المقترحة لها . . فهى قد ترى مصلحتها فى سلوك ما وتستقر فيه على رأى ثم تتراءى لها ميزة فى اتجاه آخر أو رأى مخالف فترحل إليه حتى لو كانت قد ارتبطت مع طرف آخر .

فيما عدا ذلـك فهى قادرة على دراسـة أى علم وحل أى معضلة ، وذكاؤها ليس محدودا كما يعتقد البعض ، لكنه يكافىء ذكاء الرجل وكيف لا وقد خلقهما الله من نفس واحدة . . أى من قماشة واحدة وخامة واحـدة .

وقد أجرى العلماء اختبارات كثيرة لقياس الذكاء عند الرجال والنساء وكشفت كلهـا عن مستوى واحد من الذكاء ، وفشلت كل المحاولات التى بذلهـا بعض العلماء المتعصبـين لإشاعة الفكرة القائلة بصغر مخ المرأة ، فما هو السر إذن فيما يبدو جليا الآن من أن الرجل هو المفكر وهو العـالم والعبقرى والمتفوق أبدا ، ولابد أولا أن نسلم أنها طبيعة الأمور حسب ما دبرته الارادة الإلهية . . إلا أن التحليل التاريخى لوضع المرأة يدفعنا إلى النظر فى المسألة على نحو آخر أكثر موضوعية وفهما للظروف الإجتماعية والإقتصادية للإنسان .

فالمعروف ان الأصل في كل قدرة أو مهارة هو التدريب والممارسة وليس كل ما يميزنا هو ميراث عن الآباء أو أنها صفات أصيلة فى النوع نفسه ولكنه بالإضافة طبعاً إلى ذلك حصيلة لحركتنا فى الحياة وضربنا فى الأرض .

ومنذ اكتشف الرجل قدرته وتفوقه على المرأة حرص على أن يكون دائماً أمامها ليحميها من كل عدوان . . وبعث الله بأوامره إلى الأنبياء وكلفهم بحمل دعوة الهداية ورسالات النور ولم يكلف النساء . . وأكد هذا مكانة الرجل فى المجتمع بوصفه المسئول والأمين والقائد والراعى وصاحب الرأى والكلمة .

ومرت العهود تلو العهود والمرأة تابعة تسير فى ركاب الرجل . . أحيانا سيدة داره ، وهو بعيد يحارب أو قريب يكدح ليجلب الطعام ، وأحيانا أخرى أمة أو جارية لا تعلو مكانتها عن قدميه ، ومن هنا حفر كل منهما جدوله . . الرجل يحفر نهر السيطرة والقوامة وهى تحفر نهر التبعية والطاعة ، ومع استمرار هذا الوضع كان طبيعيا أن يتدرب فكر كل منهما لخدمة طريقه والإبداع فيه ، فهو يفكر فى الخارج . . فى العمل والثمر وفى الغابة والأعداء وهى تفكر فيه وفى طعام يأكله وفى زينة تتزين بها له وفى ولد يتمناه وفى دار مضيئة بالدفء والحب .

وهكذا أصبحت كل أفكار المرأة داخل الدار ، وتجلت عبقريتها فى خلق كيان أسرى مستقر ومترابط ، على أن التراث المتراكم من عبودية المرأة للرجل لم يمنع من ظهور من تتحايل على الأطر الثابتة والقيود السائدة فتثور وتصبح علامة بارزة فى مجال نضالها الجديد ، وتطل من نافذة أخرى غير النافذة المحدودة أو المعهودة .

والتـاريخ عامر بالشخصيات الفذة من النساء اللائى تميزن بالفكر الراجح والدهاء والدراية بشئون الحكم والسياسة ، بل وأيضا بالحرب والقتال ورسم الخطط والغزو ، ومنهن من أفلحت فيها أخفق فيه الرجال .

وإذا كان تعطل آلة الفكر عند المرأة فى فترات عديدة ولدى شعوب كثيرة قد حال بينها وبين إظهار قدراتها العقلية التى منحها لها الله سواء بسواء فقد أضيف إلى ذلك وربما بسببه عائق آخر هو عدم التفرغ لتنمية العقل بالإطلاع والثقافة التى تعد دعامة أولى لكل عقل ، ومنطلقا لكل فكـر .

وأعرف شابات كثيرات ـ ومثلهن أكثر ممن لا أعرف ـ كن يحرصن وهن طالبات أو بعد الطلب وقبل الزواج على الثقافة والإطلاع وصقل العقل بالمعرفة ومتابعة جادة لما يجرى من أحداث وما يجد من شئون الحياة العامة وبعضهن كان على دراية ممتـازة بأبـرز آراء المفكر الفلانى وشطحات الكـاتب الفـلانى . . ويعرفن أهم مؤلفات هذا الأديب وذاك الروائى و . . وإلخ لدرجة بهرت بعض من تعرفن إليهم من الكتاب والصحفيين والمثقفـين ، فأدرك الرجال أنهم وقعوا على كنز ثمين . . فما أروع امرأة مثقفة . . فيقدمون على الزواج منهن وما أسرع ما تتوقف الزوجة المثقفة عن الثقافة وما أسرع ما تغلق الكتب وتطوى الصفحات ، والأدهى أنها تسرع بالتخلص من كل ما عرفت وما قرأت ، كأنها تصفى قلبها وعقلها للزواج والحب . . وما هى إلا شهور قليلة حتى تصبح زوجة تقليدية وامرأة عادية لاتتفوق على الريفية البسـيطة .

وسـواء قصـدت هى ذلك تلبية لنداء الحب أو لم تقصده فإنه يهبط

بمقامها فى نظر الرجل ، ويصرفه عنها وتصبح رويدا رويدا غير جديرة بالحديث معه ولا بمعرفة أفكاره ولا يعود متحمسا للإدلاء إليها بشىء حتى لو كان تافها ، وتبدأ المناوشات المنزلية لتتهمه بأنه كان يحبها ولكن بعد أن تزوجها ونالها لم تعد تهمه ولا تثيره ، بل لم يعد يحس بها ، وهو بالطبع يعتقد أنها كانت ترسم هذه اللوحة الجميلة لنفسها حتى توقعه فى حبائلها . . وهى لم ترسم شيئا ولكنها كانت فعلا صادقة فى توجهها نحو الثقافة ، ولكنها بعد ذلك فضلت أن تعيش للحب . . وهذا أحد ألوان سوء الفهم الذى يقع على المرأة . . فهى أسرفت فى اعتقادها بأنه لا يريد إلا الحب وهذا طبعا غير صحيح . . فالحب عند الرجل موزع على عدد من المسائل وليس لديه شىء مخصص اسمه الحب وخاصة بعد الــــزواج . .

المهم أن ظروفنا الإجتماعية أيضا تبعد المرأة عن الثقافة دون أن تقصد فنـظرا لوضـع المرأة المتميز فى المجتمع الشرقى ، أصبحت هى الركن الأساسى فى بناء الأسرة ويكفى أنها تنهض بمهمتين ، فهى مع الرجل تعمل فى وظيفة ، وتعانى مثل ما يعانى ، ثم تهرع إلى بيتها لتصبح زوجة وربة بيت تطهو وتكنس وتمسح وترعى أولادها .

ونعـود فنؤكد من جديد على غلبة النوازع الوجدانية والعاطفية على قراراتها ، وهو ما جعلها دائما مترددة فى أحكامها ، يمكن أن تؤثر فيها الانفعـالات الميلودرامية أو الوعود الكاذبة ، وقد أضعفتها هذه النقطة وأفقدتها مواقف كثيرة كما سلبتها بعض المكاسب القضائية والسياسية .

والمرأة رغم ما حصَّلت من العلم لا تزال تحفر عن غير إرادة منها فى النهر الـذى سبق أن حفرته جداتها عبر التاريخ ، وهو أنها حين تبلغ ويبدأ

جسـدها فى الإعلان عن نفسه بوصفها أنثى كاملة ، وحين تحس أنها جاهـزة للحب والأمـومة ، يتوجه نظرها نحو الزوج . . رجل المستقبل وفتى الأحلام ، وتبدأ فى رسم صورته التى ساعدتها عليها أفلام السينما ووسائل الإعلام والآراء الإجتماعية السائدة ، وقصص من تعرفهن من النساء والبنات والرجال أيضا وأحوالهم فى المناسبات المختلفـة .

لكن البنت إذا تركت لحساباتها ـ دون أن يدهمها شاب وهى لاتزال فى مرحلة العبور إلى الأنوثة خالية البال ـ فإنها تستطيع أن تفكر فى الرجل تفكـيرا مرتبا ومحكما ، أفضل بكثير مما يتاح للفتى . . فالفتى الغر من السهل أن يسيل لعابه عند رؤيته للأنثى فى الشارع ، ولو كان يمتلك مصيره وظروفه لتقدم على الفور طالبا يـدها .

أما البنت فإنها تحسب وتسأل دون أن يدرى مخلوق أنها تسأل وتجمع البيانات وتراقب وتزن جيدا كل شئونه وتسعى دائما لما هو أعلى وأرفع ثم تنصب شبـاكهـا ـ ومن حقها أن تفعل ـ وغالبا ما تنجح فى خطتها ، وتصيب هدفها إصابة أكيـدة .

والأصل فى هذه المهارة كما قلنا أن العقلية النسائية تدربت منذ القدم على أن تنظر إلى الرجل وتفكر فيه ، تفكر فيه قبل الزواج وبعد الزواج ، تنشغل به وتأسى لغيابه وتقلق لقلة كلامه وتنزعج لسفره أو قلة طعامه ، ولا يمكن أن تحتمل شروده ، فليس لذلك غير معنى واحد هو أن هناك أخـرى .

لذلـك اكتسبت المـرأة مهـارة أصبحت من طول العهد تكاد تكون فطرية ولا أبـالـغ إذا قلت إنها تستطيع أن تحكم على الرجل من نظرة واحدة . . أما الرجل فلأنه لايفكر فى المرأة إلا بشكل مؤقت وموسمى أو

عارض ، فهو لايملك ما يكفيه من الأدوات اللازمة للتعامل معها ـ ولا يدرى بالضبط اللغـة المناسبة ، وبعض الرجال ـ من طول المران ـ استطاعوا التوصل إلى بغض أسرار المرأة فأمسكوا بقرونها وسيطروا عليها ، ولكن الأغلبية لاتزال جاهلة بهـــا .

فما الذى نفيده من هذا كلـــــه ؟

أن ننزع من الأذهان كل محاولة للتقليل من شأن المرأة أو النظر إليها على أنها شريكة فقط للفراش وأم الأولاد وطاهية الطعام ، وإنما يتعين الاستماع لرأيها والتعرف على وجهة نظرها ، فيما يعن من أمور أو يجابه الأسرة من عقبات . . فرأى اثنين خير من رأى واحد ، بل ان ذلك أمر ضرورى منذ البداية حتى لو اكتشف الزوج تفاهة رأيها وسخف فكرها ، لأنه حين يستمع إليها ثم يبين لها النظر السديد فى المشكلة والحل المناسب سيتيح لها ذلـك فرصة التدرب على إعمال عقلها وبحث شئون حياتها بوصفها مسئولة عنها ، لابوصفها مجرد زوجة ، ورجلها هو الذى يفكر وينفـذ ويأمر وينهى . . ولذلك نفع كبير ، فإذا أحدقت بالأسرة ملمة وجدت شخصان يفكران فى حلها لاشخص واحد ، وإذا حدث للزوج مكروه وجد وراءه السند والمعين الذى يقود بالوعى والخبرة دفة الحيـــــاة .

صفاتها النفســـية والخلقيـة :

سوف أبدو فى نظر البعض مبالغا إذا تصورت أن المرأة تتمتع بقيم خلقية ومبـادىء أكثر ثباتا من الرجل . . والواقع أن هذا ليس تصورا ولكنه حقيقة يمكن أن يعثر عليها الآخرون إذا تذرعوا بقدر من الموضوعية وتخلصوا من التعصب لجنس أو لطرف .

فالرجل الذى اجتمعت تجاربه الهائلة ومعاملاته المتنوعة وطموحاته غير المحدودة وغروره الزائد وثقته بأنه هو سيد المخلوقات بما فيها المرأة مع تلقيه الوحى الإلهى وتحمله عبء الأمانات السماوية الهادية له ولغيره مع نتائج أفكاره واختراعاته وإنجازاته . . اجتمع عليه كل هذا ليعبث ببنائه النفسى والخلقى ويحارب أفضل ما فيه . . فاختفت إلى الأبد براءته أو كادت . . وأصبح الوضع الكبير الذى يشغله والوضع الأكبر الذى يطمح إليه يؤثرا تأثيرا كبيرا على مبادئه ونظرته للأمور . غدا كل شىء عنده ـ أو عند الكثرة على الأقل ـ قابلا للبحث والمساومة والبيع والشراع والتنازل والتأجيل وحتى الاستسلام .

كل شىء فى نظره أصبح يتلون كالماء حسب الإناء ، والإناء هو المصلحة . . وهذا الرجل الذى تغير ، غيرٌ معه مقطورته (المرأة) أو حاول ونجح أحيانا فى إفسادها ، بل إنى على ثقة كاملة وأكيدة أن أى فساد لحق المرأة لم يكن منها فى أية حالة ، وكان الرجل هو السبب دائما . . لقد كانت بيده ولا تزال إلى حد كبير مقاليد الأمور . . أموره وأمورها . . مصيره ومصيرها . . لقد تسلمها فى كل عهد ولا زال خامة طيعة وصالحة لكل تشكيل قابلة للطرق حينا وللثنى حينا وللضغط وإعادة التكوين أحيانا . . لكن الرجل ـ وهذه المسألة قد تخرج عن إرادته أحيانا وتتحكم فيها امكانياته وقلة فهمه لهاـفشل فى كثير من الحالات أن يخلق من هذه الخامة عملا فنيا أو إنسانيا جميلا ، فشل فى أن يعيد تصميمها بحيث تكون معه وله ، لا عليه أو هاربة من بين يديه . .

كثيرة جدا بل أنها لتتجاوز كل حصر تلك الحالات التى وقعت فيها امرأة بين يدى عبقرى فى الفن أو العلم أو الدين أو الفكر والسياسة ولكنه بسبب انصرافه عنها أو بسبب قدرته المتواضعة على فهمها . . وإدراك

قوانينها أفلتت عجلتها منه ، وربما ضغط على أزرار خاطئة فى أجهزتها وسرعان ما يتعطل الجهاز كله ويضطرب ويعانى ويتحمل ، وأخيرا ينفجر فيه وفيها وفى الجميع [وعذرا لكل السيدات] .

فالمرأة جهـــاز خاص :

يجب حين تتقدم منها أو تسعى للحصول عليها أن تستعد بالكتالوج الـذى يعـرفـك دورتها الكهربائية ونظامها الميكانيكى وحركتها اليدوية والنفسية ومـواعيد تشغيلهـا وطريقة ذلك . . وعليك أن تجرب تدريجيا وبهدوء ، وتستفيد تماما من كل لمسة خطأ ومن كل نور أحمر لسبب أو لآخـــر .

إنها جهاز حساس يجب أن نتعلم عليه بروية وحسن استيعاب لأنه ذو قوانين ونظم خاصة لايتعين علينا حين يتوقف عن العمل أن نبطش به ، أو حين يضىء لمبته الحمراء أن نسرع بكسـرها .

لقد وقف الرجل بعيوبه الكثيرة ومنها غروره وعدم فهمه لها ـ خلف كل ما حاق بالمـرأة وشـوه صورتها وألحق بها العار ، والعار فى الحقيقة عاره والتقصير منه .

الرجل ـ بمساندة القانون والعرف والدين ـ يمسك الدفة ويأمر وينهى ويحكم ، وهى كالسمكة التى قبضت عليها السنارة ، تمضى حسب إرادة الصياد الذى يحرك السنارة يمينا ويسارا . .

ولأن سخط الرجال ولعناتهم تنصب علىّ الآن . . أُسرع بإلقاء بعض الضوء على نفسية المرأة .

الســـعادة فى نظـرها :

يبدأ فى نظرى التعرف على نفسية المرأة من نقطة مركزية هى رأيها فى

السعادة . . وليس من شك فى أن كل إنسان يسعى جاهدا فى الطريق للوصول إلى هذه الكلمة السحرية . . يحارب ويساوم ويجتهد ويبذل كل ما يستطيع فى سبيل تحقيق ما يتصوره سعادة .

والسعادة حظيت لأهميتها بمكانة عالية فى كتب المفكرين والأدباء وعلماء الدين والإجتماع وعلم النفس ، بل ربما لدى السياسيين ورجال القانون . . ولها معان كثيرة ، قد يرى البعض أنها تتحقق بالمال أو بالمتعة واللذة والبعض يراها فى الحب وأخرون فى الجنس . وقد يراها البعض فى الصحة والستر وربما تصور قوم أنها فى العزلة والبعد عن الناس ولعل منهم من يعتقد أنها فى السفر والترحال ، ولابد أن هناك من يتصورها فى القيادة والحكم والتحكم والأغلب يراها فى الامتلاك . . امتلاك أى شىء . . ولا استبعد أن يكون هناك من يراها فى كل شىء . . ولديه إليها نهم كبير وظمأ لايرتوى .

وينساب نهر السعادة ويتدفق بلا توقف عند موضع بعينه ولا يجف نبعه أبدا . . ومعانيه لاتستقر ولا تبقى أبدا على حال وإن كانت تأتى على الناس حقب تأخذ فيها سعادتهم وأطماعهم لونا معينا أو أهدافا متقاربة . . كالإقبال على التعليم مثلا فى الخمسينيات والستينيات فى مصر . . والاندفاع نحو المال والإمتلاك فى السبعينيات والثمانينات ولكن المرأة برغم هذا كله ـ وبرغم « موضات » السعادة التى تتغير . . تروح وتجىء حسب الظروف والنظريات ، والرجل فى إثرها يعلو ويهبط . . قد يتمنى فى يوم أن يكون عالما كبيرا وتظل الفكرة تؤرقه شهورا ، ثم يقرر بعدها أن يصبح سائق تاكسى أو يفتح بوتيكا . .

بالرغم من هذا كله فالسعادة فى نظر المرأة ثابتة تقريبا منذ بدء

الخليقة ، فهى تنحصر لدى كل النساء فى الحب . . لقد حاربت المرأة الجيوش ، وقـادت المـواكب والمظاهـرات . وحكمت الشعـوب . . وسجنت وقضت عهودا طويلة فى قيود العبودية والإذلال ، ثم تعلمت وتثقفت وأبـدعت فى الفكـر والفن والعلم . . ولايزال الحب ملهمهـا ومصدر سعادتها ونبع الجمال فى نظرها وهدف الحياة . . بل هو الحياة ، ولا حياة بدونه .

ولـو تصـور البعض أن المـرأة تعشق المال وتطمع فى الراحة والترف والتمتـع بمباهج المخترعات الحديثة فى كل نواحى الحياة ، يظلمها أو يتسرع فى الحكم عليها . . وهى نفسها حين تسلك طريقا يوصلها إلى هذا . . ليس ذلـك إلا مسحـة أو سمـة من الـطيش فى لحظة من اللحظات ، أو تعجل للأمور ، ، وقد تكون فى الحقيقة محاولة عن غير وعى للبحث عن الهدف الحقيقى وهو الحب . . وإذا سلكت طريق المال والمباهج وألقت نفسها فيه بدون حب فهى تعلم ـ وان كانت تنكر ـ أنها تمضى فى درب ضد طبيعتهـا التى ترى فى الحب دواءهـا . . طعـامها وشرابهـا . . زيت شعرها وجمال وجهها ورقصة جسدها الفتان . . إنه عطرهـا الحقيقى وبـريق عينيهـا واحمـرار خديهـا ، بل وقـوة أعضائها وصلابتها وكبرياؤها وكرامتها وأرفع ما تتيه به وتزهو . . لاتدرك معه رقعة بثوبها أو ثقبا بسقف بيتها أو جفافا فى لقمتهـا .

الحب عنـــد المـرأة :

إن اللبنة الأولى فى كيان المرأة هى الحب ، والرجل اللطيف المحب لها الرحيم بها هو أغلى ما تتمنى . . وإذا وقعت امرأة على مثل هذا الرجل فإنها تشعر بسعادة غامرة ولذة بالغة لا لأنها امتلكت إنسانا ممتازا ، ولكن لأنها وجدت الأرض الصالحة كى تزرع فيها عواطفها ، وتعطيها كيانها

كله وتسقيها من روحها ، فهى كالمادة عند أرسطو تنشد الصورة كى تتحد بها وتذوب فيها ويُعاد تشكيلها ويتكون عالمها الجديد المتميز .

والمرأة تريد الحب لأنه بالنسبة لها المفتاح الذى يدير حركتها والزمبرك الذى تعمل به . .

الحب لها هو الطاقة أو مصدر الطاقة كالبترول والكهرباء . . آلة لن تعمل إلا بمحرك . . هى مستعدة أن تهدم الأرض وتبنيها من جديد . . هى مستعدة كى تنقل الجبال من أماكنها ، ولكن ذلك يحتاج إلى طاقة هائلة . . وهذه الطاقة مفتاحها الحب وكل ما فعله الرجل كان بسبب المرأة . . ليس أى امرأة لأن المرأة التى لاتحب . . إما أن تكون كما مهملا وشيئا سقيما ، ولن تتحرك من موضعها . . لن تعمل ولن تجدد ولن تعطى ما يساوى وجودها وإما أن تكون دمارا عليه وعليها وعلى من حولها .

كل ما فعله الرجل من تعمير فى الحياة وتطوير . . كل ما اقتحمه من عوالم وما خاضه من بحار وآفاق وغزاه من أكوان . . كان بسبب امرأة ولأجل امرأة محبة . . لابد أن تكون امرأة محبة . . ولذلك قيل إن وراء كل عظيم امرأة . .

وقد يكون ما فعله الرجل من رائع الأعمال من وحى امرأة خانته . . تحديا لها وتحقيرا لشأنها وبيانا لعظمته وقدرته ، وخسارتها بفقده ، ليكن . . ولكن المحرك هنا أيا كان اتجاهه امرأة محبة . .

والمرأة تريد أن تحب إلى درجة الهوس والجنون . . لا يرضيها أن تحب كالرجل بهدوء أو بالعقل . . أو بنظام ومنطق أحيانا . . الحب هو هوايتها الأولى ومتعتها الوحيدة ، يسعدها أن تمارسها لأنها تؤكد بها ذاتها . . لأنها بدون الحب غير موجودة ، بل إن الدنيا كلها فى نظرها تصبح عدما أو

تصبح مأتما وصحراء جرداء . . السير فيها ممل ، واليأس فيها أقرب من الأمل .

والجنس عند المرأة لا أهمية له بدون حب . . والفكرة السائدة للأسف عند الكثيرين أن الجنس هو الشاغل الأول للمرأة وهدفها ولا تفكر إلا فيه . . تسعى إليه ولـو سجنتها بين القضبان ، وتمضي إليه ولو دفنتها تحت الأرض ، ولكن هذا التصور ينطوى على ظلم بيِّن وجَوْرٍ على المرأة صارخ وهى لا تملك له دفعا ولا تشغل بالها ـ لا أدرى لماذا ـ بالدفاع عن نفسها ضده .

الجنس عنـد المـرأة لأسبـاب سيكلوجية وفسيولوجية لايمثل ضغطا مباشرا عليها لأنه متأخر نسبيا . . حسب أجهزتها عن الرجل . . فالرجل لديه حضور جنسى عاجل ، فمن أقل لمسة ، بل بدونها ، وبمجرد أن يخطر لحم المـرأة وطـراوته على بال الرجل تنتشر أعضاؤه وينشغل فكره وتستفز أعصابه وتسرى نار الشهوة فى دمائه ، أما المرأة فإنها تحتاج إلى الجو المناسب والإعداد الرومانسى والتلامس الجسدى والرغبة المبدأية للإتحاد بالشخص نفسه . . المرأة تحتاج إلى بعض الوقت لتعد أعضاءها وروحها للالتحام . . أما الرجل فتكفيه لحظة واحدة من النظر أو مجرد التفكير كى يصبح جاهزا لأى أنثى ، ولذلك نصحنا رسول الله بألا نزور المغيبات (اللائى غاب أزواجهن) فقد يقع نظر الرجل على ذراع المرأة أو ساقها أو صدرها ، فتنتفض غرائزه ويغدو مستعدا خلال دقيقة ومادام معها فى دار تحرسها جدرانها ، فإن الشيطان سوف يجد مائدته سهلة والحدث محاصر .

وإذا لمس الشيطان الرجل فى هذه اللحظة لمسة بسيطة وبذل معه أقل جهد لحدث ما لا تحمد عقباه . .

أما مايعنى المرأة حقا فهو الحب [1] ، ولا مفر من الاعتراف بأن الحب يطوى المرأة طيا ويجرها جرا إلى أى مصير يحملها إليه الحبيب . . وقليلات من يملكن قدرة على التحكم فى أنفسهن فى حالات الحب الطاغى ، ومن المتعين أن نحذر ترك فتاة فى مكان مغلق وحيدة مع حبيبها لأنها إذا عاشت لحظة من الحب عنيفة لن تستطيع السيطرة على عقلها ولا على أعصابها . . سوف تنسى الدنيا والناس والشرف والسمعة . . كل ذلك سوف يتلاشى من رأسها بغير إرادتها . . لأنها لا تسعى إلا للحب . . للحب فقط ولا تود أبدا غيره ، بل إنها تكون قد استعدت بالإتفاق مع نفسها ومعه ألا يلمس كل منهما الآخر أو يدنو منه أو يقبله . . ولكن ذلك يكون مجرد اتفاق شفوى ، أقسمت وهى فى تمام قواها العقلية أن تحترمه ، وحين يأتى الحب يتحلل كل شىء ويذهب العقل ويتوارى المجتمع ولا يعود هناك وجود لأى شىء آخر إلا ما هما فيه بل هى نفسها لا تعود موجـودة .

وسبحـان الخلاق العظيم . . خلق الرجل محباً للعمل والكفاح ولا يقبـل الـراحة أو الكسل [هذه هى القاعدة] . . لايتحمل القعود فى البيت أو التعطل عن العمل يوما واحدا ، وخلق المرأة للحب ، والعطاء بالحب . . كلاهما يعطى ولكل سبيل ووسيلة . والحق أن أجمل ما فى الحياة هما . . العمـل والحب . . العمـل والحب . وهمـا ليسـا شيئين عظيمـين فقط ، بل هما مصـدران لكـل شىء عظيم وجـلاّب للمتعة والجـمال . . سيمفونية رائعة أبدعها الخلاق العظيم . . وتركيبة درامية منسجمة ومتواءمة كل منها يؤدى دورا يتجه به ناحية الآخر ، فيلتقى به

---

(١) انظر رواية « أشـجان » للمؤلف .

ويحققا شيئا ثالثا . . دورة تجمع الكون كله . . أساسها الحب والعمل . .

المرأة كيان عاطفي متكامل :

كل ما فيها يعزف على نفس الوتر . . الجسد والقلب والعقل والحواس والغرائز . . كلها تتوجه ناحية المحبوب . . وإذا أحبت المرأة زوجها أبدعت في تسوية فراشه ، وفى إعداد طعامه وفى حب أولاده وفى تنظيف ملابسه ، وفى رعاية أهله وخدمتهم مهما كانت مكانتها الإجتماعية ، لأنها فى الحقيقة لاتقيم وزنا - لو توافر الحب - لكل ما ابتكره الرجل من تقسيمات وتصنيفات . . هى لا تعرف إلا العطاء ، على أن يكون منطلقه الحب ، وإذا لم يتوفر هذا المنطلق بدت مفرطة العيوب ، ومملة وأنانية ومنفرة .

وفى استطاعة بعض الرجال بخبرتهم أن يضعوا أيديهم على مفتاح المرأة . وهو قلبها ، فيدخلون إلى عالمها ، وتكشف لهم عن طيب خاطر كل ما كانت تدخره لصاحب النصيب .

ويميل البعض إلى النظر للمرأة على أنها خائنة ، وأنها تفرط بسهولة فيمن أحبها وأعطاها ماله وقلبه وشرفه . . وهذا الاتهام فى الواقع فوق مافيه من الظلم فهو يدل على سوء الفهم أو بالتحديد عدم الفهم وفساد الاستنتاج والحكم وعدم الموضوعية .

فأغلب الظن أن من يتهمها بذلك اكتوى هو نفسه بنارها أو سمع عن حدوث ذلك لصديق أو قريب . . ذلك ممكن ولكن كيف ؟

الواقع أن الزوج لابد أخطأ فى حقها وقصر . . وظل يخطىء ويتمادى ، ويسلبها الحق تلو الحق ويطالبها بالوفاء بكل حقوقه ، يستبد

بها ويستعبدها ، يعاملها كالجارية أو الأمة وهو السيد ، ثم لاتنال من وراء ذلك كله أو بعده ، أى حق أو متعة أو حتى كلمة طيبة .. والصبر له حدود ، ولا يكون أمامها إلا أن تبدأ فى الاستعداد للقدر الجديد ، وهى الحالة التى تقرر فيها المرأة أن تحرم زوجها من عواطفها وجسدها ، وحين تقرر ذلك تثبت صدقها مع نفسها ، فالذى لايحترم مشاعرها ، لاتسمح لمياه قلبها أن تجرى فى أراضيه ، والذى يستقر قلبها على رفضه لاتصرح له أبدا بلمس جسدها . . وهذه ميزة من مزايا المرأة . . إنها ترفض أن تسلم جسدها لمن تكره ، فى حين أن الرجل قادر ومستعد أن يسلم جسده لمن تدعوه .

ألا ترى إلى الزوجة التى تحب زوجها من أعماقها فإذا مات عنها ، بقيت على العهد تربى أولادها وتكتسب بالحلال والعرق لقمة عيشهم ، لاتفكر فى الرجال مهما قيل لها إن « ضل رجل ولا ضل حيط » . . إن حبها له كبير وغامر وعميق ويشغل كل عقلها وقلبها . . قد تتزوج غيره ليعينها ويسترها من الناس وألسنتهم القاسية وكثيرا ما تكون مضطرة لهذا . . ولكنها تقبل حتى لاتصبح سيرتها مضغة فى الأفواه بالحق وبغير الحق .

أما الرجل فسواء تركت له زوجته المتوفاه أولادا أو لم تترك فإنه يتزوج حتى لو بلغ السبعين من عمره .

ولذلك يتعين على من يتزوج أن يتنبه إلى صفات المرأة ويحاول كل يوم أن يفهمها ، ويدنو منها ويدرك عيوبها ويغفر لها ويرحمها ويقدر ما تبذله من أجله لا بالشكر ، ولكن يكفى المشاعر الصادقة والكلمة الطيبة واللمسة الرقيقة ، وبالهدايا إذا أمكن ..

ولابـد أن يطمئن يوما فيوما وقبل الزواج أنها تتجه نحوه وتفكر فيه ويسعـدهـا لقـاءه ، لأنـه إذا تزوجها وهى غير راضية به ، ولا مرحبة بوجوده . . فمن المحتمل أن يزداد الأمر سوءا بعد الزواج . . وساعتها سوف يكـون الحـل عسـيرا . . وربما نفاجىء بنهاية سخيفة أو تصدع مزعج . . يهز البنـــاء .

قلـــــب المرأة :

إن فهم المرأة مطلوب ، وأخطر ما فى المرأة عواطفها . . وعواطفها تحاول بكل اخلاص أن تتوجه نحو شخص واحد إلى الأبد . . هذا هو الأصل فى مشاعر المرأة ، لأنها لاتعرف غير الصدق والإخلاص الذى يحقق لها حبا كبيرا ، ويصبح فضاء عريضا تطير فيه ، وبحرا بلا نهاية تسبح فيه يلاعبها الموج وتلاعبـه .

وهى فى هذه الحـالـة ستكـون الرقة والهدوء والجمال والراحة والأمل ستكون رائعة . . معطاءة . . سمحة وحنون ، لكنها قد تنقلب وحشا ضاريا من أجـل من تحب وضد من تحب إذا خان . وهى أبدا لاتبدأ بالخيانة ، ولكن التفريط فى حبها والتحقير من شأن عواطفها يوغر صدرها ويسبب لها المشـاكـل النفسية العـاتية التى قد لا تحتملهـا ، فتحـاول التخلص منها ومن أساس المشكلة برمتها ، وهى مستعدة لتحارب حربا ضروسا كل ما يهدد حبها ، ولم توجد بعد امرأة تقتل لأى سبب إلا من أجل الحب . .

لاتقتل المرأة فى الغالب من أجل أولادها ولا من أجل أبويها ولا من أجـل عملهـا أو أمـلاكهـا . . غريبـة . . وتكفى الإشارة إلى صفحة الحوادث بالصحف اليومية ولنتابع جرائم القتل التى تنفذها النساء ـ لن

تجد من بينها إلا القتل من أجل عشيق . . إما قتل رجل أو امرأة [عقبة] أو قتل الخائن ، إنها تفكر فى القتل وقد تضطر له فقط دفاعا عن حُبها المهدد الذى يمثل لها الحاضر والمستقبل . . المتعة والمصير .

المـرأة تؤمن أن أفضل مكان لها فى الدنيا هو قلب الرجل ولا تشعر بالسعـادة مطلقـا إذا لم تكن فى هذا المكان بالذات ، ومن هنا يدهش البعض لأن امرأة انصرفت عن رجل يوفر لها كل ما يتوفر للملكات من الأثاث والرياش والتحف والذهب والعقار ، لكنها تظل فى حالة قلق لأنها بعَـدُ لم تستقر فى عشها الطبيعى ، ومن هنا يظل بحثها قائما عن قلب الرجل المطلوب .

ونفس الشىء يحدث مع الرجل العجوز ، حتى لو حقق لها كل ما تهفو إليه من الممتلكات المادية والمكانة الأدبية . فضلا عن حبه الغامر لها وانشغـالـه التام بها ـ فهى فى حالة احساس دائم بعدم الاستقرار لأن القلب الذى تسكن فيه آيل للسقوط . . جدرانه ليست قوية بما يكفى كى تشيع فى حياتها الدفء وتمنحها الحب والأمن .

والقلب فى نظرها لاينفصل عن الجسد ، إنها تؤمن بغريزتها الفطرية أن شباب القلب مرتبط بشباب الجسد ، وتأجج العاطفة يتضاءل ويخبو كلما مضت سنوات العمر نحو الهرم . . ولا معنى إذن فى نظرها لعبارة : الشباب . . شباب القلب . . إذا كان قائلها ممن تجاوز الشباب أو حتى الكهولة .

وقد تقبل بعض الفتيات الزواج من كبار السن ، مادام الكبير سيوفر المال والحكمة والإستقرار ، وسوف يكون رهن إشارة منها ، على أمل أن يأتى الحب بعد ذلك أو بسبب ذلك ، لكنه فى الأغلب لايأتى . . أما

إذا كانت قد أحبت شخصا ما ، فإن كل مغريات الدنيا لاتساوى عندها لحظة حب ، ولا يعود أى شىء مهما كانت قيمته بقادر على تحويلها عن طريقها أو إخراجها من عالمها . . لايؤثر فى قلبها كلام معسول ولا تغريها أموال أو مباهج ولا يجذبها عن حبيبها أغنى وأجمل رجال العالم .

وإذا كرهت زوجها مثلا ، أغلقت بابه عليه ونفته تماما من الوجود حتى لو كان معها طيلة النهار . . ويصبح قلبها حرا طليقا يبحث من جديد عن عشه المناسب إلى أن يجده ، وساعتها لاتقيم وزنا لزوج أو لدين أو قانون ولا حتى لولد أو أب وأم . . الكل يصبح هباء . . يتلاشى كل شىء ويتألق الحب الجديد .

عاطفة غريبة وعميقة ومتوحشة وصادقة . . تبدأ بالحرية والعيون المفتوحة ، ثم تتحول بعد الحب إلى عاطفة عمياء توجه المرأة وتدفعها لصب كل المشاعر والعقل والأعصاب والأموال والمصير والشرف على مائدة الحبيب .

وحب المرأة للماديات الحياة إما نتيجة اعتقادها أنه دليل على الحب أو لأنه وسيلة لإرضاء رغبتها الجياشة دائما فى التفاخر وحب الظهور وهو عنصر أساسى وأحد المفاتيح الهامة فى عالم هذا المخلوق الجميل .

أمانة المرأة :

الأمانة . . صفة فطرية تتميز بها المرأة وتتفوق فيها ، فمهما مارست العمل الهام وتولت المسئوليات الخطيرة وأشرفت على تنفيذ المشروعات الكبرى لايحدث أن تصرف ذرة واحدة من فكرها فى استغلال مركزها أو سلطتها للكسب الحرام .

ومن الشاذ أن نسمع عن امرأة سرقت البنك أو المتجر الذى تعمل به

أو سعت للحصول على رشوة لتنجز بها عملا لغير مستحق ، مهما كانت فقيرة ومحتاجة ، والمرأة حتى لو امتلكت الأرض فقيرة ومحتاجة ولكنها لاتحاول الكسب من حرام إلا فيما ندر ، ولكل قاعدة شواذ ولكن المشهود لها به هو الأمانة بوصفها سمة أصيلة فيها ، وقد نسمع عن نساء يحترفن السرقة ، ولكن المسألة هنا مختلفة فاحتراف السرقة مرض اجتماعى له أسبابه وظروفه الخاصة كاحتراف البغاء وغيره . . فضلا عن أن معظم - إن لم يكن كل-من احترفن السرقة كن فى الأصل يستجبن لرغبة أب أو أخ أو زوج . . وكان الرجل دائما وراءهن سواء فى السرقة أو فى المخدرات . . بدليل أنك لن تجد حالة واحدة لإمرأة تسرق من نفسها ولحساب نفسها . . لابد هناك فى كل جريمة من هذا النوع-رجل . . وصحيح أن عددهن يتزايد ولكنه لايزال بالقياس للصوص من الرجال يمثل نسبة ضئيلة ، وأمانة المرأة فيما يختص بالماديات تتسق تماما مع أمانتها الطبيعية فى غير ذلك من الشئون ، وهكذا خلقها الله وسوّاها . ولم تمنع هذه الصفة الأصيلة فى المرأة من الوقوع أمام سطوة التمدن الرهيب الذى تعيشه بعض المجتمعات كالولايات المتحدة الأمريكية التى بدأ يستفحل فيها نشاط المرأة الاجتماعى وخاصة فى مجال السرقة ورئاسة عصابات تقطع الطرق وتبث الرعب فى قلوب التجار والأثرياء .

ولاشك أن الدكتور « رالف بانى » وهو واحد من أكبر علماء الأمراض النفسية الإجرامية بأمريكا قد وضع أصبعه على الداء الحقيقى الذى يدفع المرأة إلى سلوك طريق الجريمة والعنف وهو طيش المرأة وعدم استقرارها العاطفى وأغلب الظن أن بعض الحالات الإجرامية التى تتم فى مصر أو فى بعض بلدان العالم العربى لاترجع إلى طيش المرأة وإنما ترجع إلى عدم

الإستقـرار العـاطفى . . كما ترجع إلى غياب الرجل القائد الواعى فى الأسرة التى تنحرف المرأة فيها .

ومازالت مجتمعاتنا برغم التزايد النسبى فى عدد السارقات تقل كثيرا عن مجتمعات أخرى والسبب فى ذلك هو حجم التقدم الكبير والمدنية المسيطرة على العالم الغربى . . وهو ما يعنى مزيداً من حرية الحركة للمرأة وتعاظم خبراتها فى كافة المجالات وتفوقها فى الدفاع عن النفس واستخدام السلاح والقدرة على تزوير المستندات وقيادة السيارات والطائرات . . فالمرأة الأجنبية وخاصة الغربية لاتقل عن الرجل فى أى شىء وهى تنافسه فى كل مضمار ، وأزعم أن الدافع لسرقة المرأة بالذات فى أمريكا وأوربا هو الفـراغ والقلق وعدم الاستقرار العاطفى والإجتماعى، والاقدام على السرقة ليس دفعا للجوع أو توفيرا لثمن الكساء والسكن ، ولكنه ممارسة لأى شىء فيه ترضية للنفس وصرف لها عن فكـر مضطرب وهوس قد يفضى للإنتحار .

على أية حال . . تظل هذه الميزة النبيلة فى نسـائنـا معلقـة بأعنـاق الرجال . . وعليهم أن يحرصوا عليها ، لأن انفراط عقد النساء مصدره التفريط فيهن وفى مصائرهن من جانب الرجـــال .

حب المرأة للامتـــلاك :

تحب المـرأة الإمتـلاك ، وهـذا هو الـذى يدفعهـا إلى أن تقبل على الشراء . . ويسعـدهـا أن تدرس الأسـواق وتـطوف بها وتسأل وتساوم وتشترى حتى ما لاتحتاج إليه . . يسعدها أن تملأ بيتها بالمقتنيات حتى لو لم يعد فيه مكان للحركة . .

وهى تحرص على أن يكون لديها المال والذهب ، لأنها لاتثق بالرجل

ولا تأمن له ، وكثير من الأمهات أورثن هذه الفكرة لبناتهن . . والواقع يؤيدها . . فالرجل يمتلك أولا أخطر أوراق العلاقة بينهما . . لأنه بحكم القـانـون والدين والمجتمع هو السيد وهو صاحب القرار . . هو الآمر الناهى . . هو الذى يطلقها ويلقى بها إلى الشارع ، وقد يتزوج عليها واحـدة أو أكثـر . . وهـو الذى ينفق على البيت إذا أراد ، وقد يمتنع ويحرم . . فماذا تفعل لو تعرضت لهذه المواقف ؟

هو قادر على أن يقطع علاقته بها فى أية لحظة ، وكثيرا ما فوجئت امرأة تبذل كل حياتها لخدمة زوجها وأولادها بورقة طلاقها تدق عليها الباب ومن هنا يتسبب الرجال أنفسهم سواء بسوء الاختيار منذ البداية أو بسبب حرية الحركة ، وسهولة الوقوع فى علاقات متباينة أو بسبب التعجل فى القـرارات ، إلى أن تشعـر المـرأة بما يهددهـا . . ويقلقها ويعكر صفو استقرارها واطمئنانها . . وهذا ما يدفعها للبحث عن سند مادى بقدر المستطاع يحميها من بشاعة السقوط المفاجىء . . ويساعدها على تضميد جراحها حتى تستعد لحياة جديدة تحمل أعباءها وحدها بعد أن تخلى عنها الزوج الغادر .

وإلى هذا السبب فضلا عن حب التظاهر والفخر نجد أن المرأة هى التى تسعى لتعمير البيت واستكمال عناصره على أحدث ما يكون أو أجمل ماتستطيع ، ولا تعوزها فى هذا السبيل وسيلة ، فلها قدرة على الادخار ويمكن بقليل من القروش أن تشترى ذهبا ، وقد تتفق على شراء حجرة نوم جديدة تفـاجىء بنبأها زوجها الموظف البسيط الذى يستطيع مرتبه بالكاد أن ينفق على بيته إلى منتصف الشهر .

وهذا ما يكشف عن امكانيات عالية للمرأة فى التعمير والتجميل بل والتدبير والتنظيم وأيضا الصبر وقوة الإرادة وخاصة إذا توفر الحب . ولكن

ليس النساء كلهن من هذا الصنف ، فهناك أيضا نموذج المرأة العصرية التى تود أن تنال أكبر قسط من مناعم الحياة ومباهجها ، وتنسى الغير تماما لأنها تربت على الخوف من الزمن ومن الرجال . . ولذلك تقبل على اللذات وتعُبُ من المتع ، وكأنها تخشى أن تموت دون أن تستمتع بما يتاح ، وما لم يتح سعت إليه واقتنصته .
الطعام اللذيذ والمظهر الجميل والمال الوافر والسيارات الفارهة والرحلات والسهرات وكل ضروب اللهو . .

لقد ختم الله على قلوب بعض النساء وعقولهن حتى رفضن السبيل التقليدى النبيل وسبيل الأمهات الفاضلات المعمرات وآثرن سبيل اللحظة والمتعة . أغلقن قلوبهن على الفراغ والخواء ، أغلقنه حتى دون الحب الذى تنكرن له وأبين الإعتراف له بأى سلطان . . منذ البداية أنزلنه عن عرشه ، وأصبح السلطان هو اللهو واللذات والنشوة الدائمة . . إذا دامت .

ضرب من النساء علت وجوههن غشاوة ، وعميت أعينهن عن إدراك حلاوة الزواج المناسب . . المهم عندهن المال والإمتلاك والترف ، لأنها علامات النعيم . . إذن فليس المهم سن الزوج ولا علمه ولا أصله ولا خلقه ولا سمعته .

لقد لوح بالمال وهو بالنسبة لهن أهم المفاتيح . . فتفتحت شهية الأثرة والأنانية والجشع . . وبإمكان الرجل أن يتنبه لهذا النوع منذ البداية ويتجنبه لأنه غول . . لايشبع ولا يقنع ولا يرضى . . لاتكف أفواهه السبعة عن الإلتهام والتبديد والتدمير . . ومسكينة كل امرأة قُدِّر لها أن تكون من هذا الصنف ومسكين من ألقته ظروفه فى يديها . . فلن يتميز ساعتها عن وضع الذبابة بين أيدى العنكبوت .

وهى مسكينة لأنها لا تعرف الحب ولا تعرف الرحمة ، لاتحس بالألم ولا تدرك معنى الحنين والحنان ، بل انها لاتقدر معنى الآمان والإستقرار . . وهى بالقطع لاتحس بغريزة الأمومة وأشواقها وغرامها بأولادها ولذتها وهى تضحى فى سبيلهم بحياتها وكل ما تملك . . هى لاتعرف لذة أن تخدم زوجها وتعد طبقه بيديها وتنظر فى عينيه لترى أثر ما فعلت . . لذات كثيرة لا تعرفها . . مسكينة . . حتى برغم تهافت بعض الشباب عليها وسعيهم نحوها دون أن يفكروا لحظة فى الغد حين يلعب القدر لعبته مع كل طائش أنانى . . مع كل الذين ساروا ضد الطبيعة . . وتدور الدائرة وتؤكد الطبيعة سلطتها ويأخذ العدل مجراه . . ساعتها يكون الوقت قد فات . . ولم يعد فى اليد والقلب والعين غير الندم بعدما أصبحت اللذات والمتع والمظاهر الكاذبة مجرد جثث لها روائح عفنة .

والذى يثير الدهشة حقا أن هذه المرأة وأى امرأة على قدر حبها للإمتلاك وغرامها بالذهب والأثاث والمال ، فإنها إذا عثرت على من تحب حبا جارفا يملأ عليها كل كيانها لم تعبأ بشىء . . امتلكت أو لم تمتلك . . لأنها معه تشعر بالأمان التام والاستقرار ، تشعر أن الحياة بين يديها ، وتنسى حتى غدر الزمان أو هوى الرجال وعبث الأخريات . . تستسلم وتبدى ثقة بلا حدود . . فهناك الحب وهناك الحبيـــب .

الفصـــــل الثـالث

كيـف تختــــــار زوجتــــك ؟

موانع الـــزواج الشـــرعية :

ذكـرنـا فى الفصل السابق صفات المرأة بوصفها أخطر مخلوق يعنى الرجل معرفته سواء أقدم على معاشرتها أو لم يفكر فى الارتباط بها على الإطـلاق .

وإذا فكر فى الزواج منها فعليه أولا أن يلتزم باحترام الكيان الشرعى للعلاقة الزوجية التى تقوم على قوانين ونظم فضلا عن العادات والتقاليد التى التزمت بها ـ وان اختلفت بينهم ـ كل شعوب الأرض .

وأول مايجب معـرفتـه عنـد عقـد النية والعـزم على استكمال الدين بالشروع فى الزواج هو موانع الزواج الشرعية وهذه الموانع هى :

الأول : أن تكون المطلوبة للزواج متزوجة ولا تزال على ذمة رجل .

الثانى : أن تكـون معتدة للغير (أى مازالت فى فترة العدة) سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة .

الثالث : أن تكون بلا دين أو مرتدة عنه ، أو تعتقد مذهبا فاسدا حُكم بكفر معتقده .

الرابع : أن تكـون قريبـة للزوج ، كأن تكـون من أصوله أى من الأمهات والجدات أو تكون من فروعه أى الأولاد والأحفاد أو تكون من أول فروع الأصول كالأخوة وأولادهم أو من العمات والخالات ويقول الله فى كتابه العزيز [1] :

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم

---

(١) ســورة النســاء ٢٣

وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ، إن الله كان غفورا رحيمـا » . صدق الله العظيـم

الخامس : أن تكـون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع مايحرم من النسب أو أن تكون هو وهى من الأخوة فى التعميد [عند المسيحيين] .

السادس : المحرم بالمصاهرة ، أى أن يكون الزوج قد سبق له أن تزوج بابنتها أو أمها أو جدتها ، أو إذا كانت زوجة لأبيه أو ابنه .

السابع : أن تكون المرأة هى الخامسة بالنسبة له ، ولا يزال على ذمته أربع سـواها .

الثامن : أن تكـون زوجتـه وطلقها ثلاثا ، فلا تحل له إلا بعد أن يدخل بها زوج غيره بعقد صحيح وخلـوة .

التاسع : أن تكون هى أو هو بحج أو عمرة ، فلا ينعقد العقد إلا بعد التحلل .

العاشر : أن تكون صغيرة فلا يصح الزواج بها إلا بعد البلوغ .

فـكر فى نفســـــك أولا :

عندما يبلغ الشاب وينضج ، يشعر برغبة جميمة فى الإلتقاء بنصفه الآخر . . المرأة . . المرأة فى شكلها الجديد . . المختلف كثيرا عن المرأة الأم أو الشقيقة والعمة وزوجة الأب . . إنه يبحث عن المرأة التى تحل

له . . المرأة التى يحبها أو يود أن يحبها وتحبه . . فيعطيها اسمه وحمايته وتعطيه الحنان والمتعة والولد . . تشاركه فى بناء البيت وتكوين الأسرة . . قلبها على قلبه ويدها فى يده .

وهو حين يفكر فى الاقتران بها يقدم على أخطر مراحل حياته وعلينا أن نمد له يد العون التى لاشك يحتاجها لإصدار أهم قرارات حياته وحياة مجتمعه . .

ولكننا نرجوه أولا أن ينظر إلى نفسه قليلا ويتأمل ذاته ويقوِّم إمكانياته ، ويتعرف على سلوكه ويحلله ، ويحدد بالضبط مزاياه وعيوبه .

لابد قبل أن يفتش فى شريكة الأيام القادمة ويدقق فى اختيارها على النحو الذى سوف نفصله فيما بعد - أن يلتفت إلى نفسه ويحكم عليها بكل الحيدة والموضوعية والصدق . . لأن الرجل الذى يتقدم لخطبة فتاة تفحصه كما يفحصها وتدرسه كما يدرسها ، وتزن امكاناته وقدراته وتحلل طباعه . . وإن تم ذلك غالبا فى السر وفى هدوء ، لأن اختيار الرجل لها هو الاختيار العلنى . . وكثيرا ما تكون المرأة فى الحقيقة هى التى اختارته بينها وبين نفسها ، ثم أوعزت إليه بأساليبها كى يختارها . . وهو بحسب ما هو سائد يجب أن يختار ويتقدم ويعلن طلبه رسميا بين الناس ، أما إذا لم تكن قد وضعته فى قائمتها ولم يسبق لها أن درسته وتقدم هو يطلبها للزواج فليس شرطا أن تقبله وليس لمجرد أنه اختارها من دون النساء أن تختاره . . من حقها أن تبحث فيه عما يهمها توافره ، وأن تتحقق من أن فيه ما يرضيها ويسعدها .

وإذا كنا نطلب إلى الرجل . . أى رجل وبشكل عام أن ينظر إلى نفسه أولا إنما نعنى بذلك أن يطمئن على تمتعه بحد أدنى من الصفات

والقدرات التى يتعين فى الرجل توافرها . . وهى صفات عامة تزيد أو تنقص من فرد إلى آخر . . والفضل لله وحـده .

وإذا كنا ننبه إلى ضرورة توافر هذه الصفات الأساسية فإننا نحرص على ألا يتـورط الـرجـل فى زواج مريض يزرع العلل فى المجتمـع ، والمجتمع والحمد لله ـ الذى لايحمد على مكروه سواه ـ ملىء بالعلل ، أكثرها استفحالا اليوم ودمارا ، الجهل وعدم التربيـة .

لقد كانت علل أمتنا فى الماضى ثلاثة ذاع صيتها وكثر ذكرها هى الفقر والجهـل والمـرض ، وقد تمكنت الثورة بقيادة زعيمها العظيم جمال عبد الناصر من القضاء على الفقر والمرض . . ومضت السنون لتتولد علة أشد وأخطر هى عدم التربية ، وهى نتيجة طبيعية لزواج المال بالجهل ، حين تضخم الشعور فى السبعينات بأن المال هو السيد وهو القيمة الوحيدة فى حياتنـا .

أما أهم الصفات التى أتصور ضرورة توفرها لأى رجل ، يريد أن يتحول من فرد إلى مجموعة . . من ابن إلى أسرة ، ومن تابع إلى قائد هى ما يلى :

١ ـ سـلامة العقـل :

سلامة العقل هى أول صفة يجب أن يتسم بها الزوج ، لأن الزواج هو بناء بيت وخلق كيان كامل . . الزواج تكوين لدولة صغيرة تحتاج إلى قائد متزن وماهر فى القيادة ، بارع فى التصرف . . لاتضطرب أعصابه فى الأزمات . . ولا تتسم سلوكياته بالحمق والاندفاع . . وكيف يكون كذلك وهو قدوة ومثال للزوجة والأبناء .

ولـو كان مختـل العقل ، مضطرب الفكر ، غلبه موج الحياة وابتلع

زورقـه وسـاء مآل أهله ، وكـانـوا بين الناس نموذجا للفشل والضياع وتبحث الزوجة فى العادة عن العقل فى الرجل ولا تهمله كما يعتقد البعض لأنها تعلم أنها مهما رجح عقلها ستتبعه فى المسير والمصير . . وكيف تقبل أن تقتفى أثر مخبول أو طائش . . وإن مبالغتنا فى التأكيد على أهمية الحب عند المرأة لايعنى أنها ستحب أى إنسان ، أو تقبل لأى إنسان أن يحبها وتسرف فى تبادل العواطف مع أبله . . الحب عند المرأة رغم اجتياحه وجنونه وشدته وأهميته البالغة بالنسبة لها لايأتى إلا بعد أن يعجبها الرجل ويقنعهـا بامكـانياته العقلية والثقافية لأنها هى التى تعنى الرجولة . . الرجولة هى العقل والرأى والقيادة الحكيمة فى المواقف الصعبة .

ومن غير المعقول أن تسلم قلبها لرجل ضعيف العقل مضيع الفكر ، وحتى لو اكتشفت ذلك متأخرا فإنها تلقيه جانبا وتتولى الدفة ، أو تلقيه جانبـا وتبحث عن غيره حتى لو بقيت على ذمته وبين جدران بيته . . فقيادة الرجل للمرأة ليست توجيها للبيت فقط ولكنها قبل هذا قيادة لها هى وسيطرة عليها واستيلاء تام على قلبها وكيانها ومستقبلها . .

سأل رجل أحد الفلاسفة عن السر فى أن بعض الدول تقبل تتويج الملك وهو فى الرابعة عشر من عمره ، ولا تجيز الزواج لشاب قبل بلوغه الثامنة عشر ، فأجابه الفيلسوف لأنه أيسر على المرء أن يسوس مملكة من أن يسوس امرأة .

٢ ــ سـلامة الجسـم والنفس :

سلامـة الجسم والنفس من العمد الأساسية للزواج ، لأنه يتطلب العمل للإنفاق على الأسرة ، ويتطلب صحة وعافية تمكنه من تلبية ما يلزم للزوجة والأبناء من الحماية والعـون . .

وهنـــاك من يخدعـون النـاس بقـولهم ان الـزواج يشفى من بعض الأمراض وهذه مقولة خاطئة ١٠٠٪ ، لأن الزواج أعباء وتكاليف وعمل شاق فضلا عن المسئولية الإجتماعية والأدبيـة .

والخوف كل الخوف أن يستفحل المرض ويزيد ويصبح حملاً ثقيلا على الرجل وعلى نفسيته وكرامته وهو العاجز مع أسرة مسئولة منه ، كان عليه أن يقوم عليها ويرعاها ، فإذا هى التى ترعاه وتضطر أحيانا للنزول إلى الأسواق وإلى أماكن العمل بكل ما يكتنفها من ظروف طلبا للرزق وجلبا لقوت العيال .

وقد يحدث هذا المرض بعد الزواج والأمر فى هذه الحالة يختلف لأنها إرادة الله وقـدره ، وعـلى الجميع قبولها والرضا بها ، ومن ثم يجب على الجميع تطويع نفـوسهم للظروف الجديدة . . ولكن مادام الجسد قبل الـزواج مريضـا فلابد من السعى للعلاج قبل الزواج والمضى فيه إلى أقصى مدى . . فحرام أن يثقل الرجل على نفسه أو يثقل على أهله ، لأن سلامة المجتمع وهو الجسد الكبير الذى يضمنا جميعا يجب أن تهم كل فرد ويتعين على الكل الحرص عليها ، وإذا تحمل كل إنسان قدرا من الجهد الشخصى فى التعامل مع كيان أمته بأمانة وضمير أمكن أن يعم الخير الجميع . .

فإذا ألقى رجـل بفضلاته فى الشارع ولو كان يبعد عنى مائة متر ، لحقنى ضرره ، ولابـد ألاَّ ألقى أنـا الآخـر بفضـلاتى أو عيوبى إلى المجتمع ، حتى لا أضر أحدا ، وسوف يضار غيرى حتى لو أبقيتها أمام بيتى ، لأن تعاملى مع المجتمع والشارع بأى صورة يحسب لصالح أو ضد المجتمع ككل .

٣ ـ السـن المناسب :

تأخر الشباب فى الزواج حتى سن كبيرة يعنى قلة الفرص المتاحة أمامه للإختيار . . وهـو بالضبط كمن يذهب إلى السوق بعد الظهر ليشترى الخضروات . . وفى حالة الزواج المتأخر نسبيا لن يتعذر على الرجل أن يجد الزوجة المناسبة له فى سنه هذه ، ولكنه بالطبع لن يجد الزوجة التى كان يتمناها لو أقدم على الزواج فى وقت مبكـر .

والسن التى يحسن الـزواج عنـدها ترتبط بالنضج والإستعداد المالى . بالنسبـة للرجـل لايجب أن تقـل عن الخامسة والعشرين ولا تزيد على الخامسة والثلاثين وكلما اقتربت من الثلاثين كانت أفضل . . أى ٣٠ ، أو ٢٩ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٣٢ بالترتيب .

فتأخر الشاب فى الزواج حتى الأربعين مثلا أو بعدها وإصراره على الزواج من الشابة الصغيرة مدعوما بماله أو بمركزه الأدبى يعنى أن يكون هناك فارق عمرى كبير ، تعقبه مشاكل الإختلاف بين الأجيال وظواهرها مشهـودة فى المشاعر والأراء ولغة الحوار والجنس . . وأى باب ينفذ منه الشقاء له تأثير بالغ على الكيان كله بما فيه علاقة الزوجين والأبناء .

وأنسب الفـروق العمرية فى تصورى بين الزوجين هى الواقعة بين خمس سنوات وخمس عشرة سنة وكلما تجاوز الفرق الحد الأقصى وهو ١٥ سنة دعا ذلك إلى توقع ظهور ما يعكر الصفو إن آجلا أو عاجلا . .

والأعجب من هذا كله أن تجد الـرجـل الكبـير يقبـل على الـزواج بالصغـيرة ومـادامت قد وافقت لأى سبب ، يفـرح كالأطفال بقبولها ، ويدفـع عن نفسـه كل ما يخطر على باله عن مستقبل أيامها وما سوف يصيبهـا من التصـدع والانهيار . . يطرد كل الهواجس بشده ، ويلقى

بنفسه فى بحر الزواج من الطفلة ، وبعد ذلك يبكى بدل الدموع دما . . والتجربة متكررة إلى درجة الملل ولازال العرض مستمرا .

٤ ـ حسن الخلق :

لابد أن يكون واضحا لدى الزوج عدد من المبادىء الأخلاقية الأساسية كالعدل والحق والصدق والشرف وطهارة اليد . . وطهارة اليد بالذات مهمة قبل الزواج لأن فقدانها قبل الزواج يزيدها سوءا بعده . . وسبق إيضاح ذلك فى حديثنا عن عيوب الزواج وغلبة نفقته على قدرة الرجل أحيانا فيلجأ إلى الحرام مرغما ، فما بالك وهو الذى تعود عليه قبله !

ويفضل له أن يتسلح بمعرفة معقولة بالحقوق والواجبات وبالذات فيما يختص بأحسن الطرق لمعاملة الزوجة والوالدين والجيران وزملاء العمل ، بما يحقق راحة الضمير وحسن السمعة وأفضل الطرق لتحقيق ذلك التمسك بأحبال الدين .

صحيح أن هذه المسألة معقدة نسبيا ، وليست دعوتنا فى هذه السطور يمكن أن يكون لها دور عاجل أو آجل ، لأنها مسألة تربية قديمة وطباع تأصلت بمعاملة الأهل أنفسهم وسلوكهم ، ولكننا هنا نهيب بعقل الرجل وشخصيته أن ينظر إلى هذه المسألة باهتمام لأنه أولا يحتاج إلى الخلق كى يخطب فتاته ، وليس معقولا ولا مقبولا أن توافق على زواجه بابنتهم أسرة تعرف جيدا عنه سوء الخلق وسوء السمعة وانعدام الضمير وبذاءة اللسان ، ثانيا وعلى فرض موافقتها تحت أى ظروف ، والظروف فى بلادنا تلوى كثيرا من الأعناق ـ فكيف يكون سلوكه وسط جيرانه وزملائه وفى المواقف المختلفة . . مسألة فى الواقع تحتاج إلى نظر ، خاصة

أن بعض الشباب فى هذه الأيام تشبع بأفكار حادة وشاذة وعنيفة . . بل إن بعضهم يوصى بالعنف وبالجرأة وبالخطف وتحبيذ استخدام القوة فى كل سلوك ، لأن الناس لايصلح معهم إلا هذا السلوك ، وقد سمعت بعضهم يقول فى عدد من المناسبات قولا عجيبا وقبيحا هو « إذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب » يتحدثون عن غابة ووحوش بوصفهم خبراء بالنفس البشرية . .

والكل يعلم إن هذه الأساليب لايمكن أن تحقق خيرا أو ترد حقا أو تحسم قضية ، وحتى لو فعلت ، فما أسوأه من موقف . . الرابح فيه خسر نفسه ودينه وسمعته .

ومن الرجال من يتجاهل ضميره ودينه ويفكر فى الإقدام على خطبة امرأة قد تفوقه بالميزات كصغر سنها وثرائها ووضعها الإجتماعى ويؤثر أن يترك كل من تناسبه طمعا فى هذا النموذج الغالى . . ويتحمس للفكرة ويأخذ لها أسبابها ، فإذا كان على أبواب الشيخوخة صبغ شعره ، وركب طاقم أسنان جديد وربما دفع مبلغا باهظا فى عملية تجميل وشد للجلد واشترى على غير طاقته عددا خرافيا من الملابس والهدايا . . وباع كل ما عنده ليقدم على هذه التجربة أو على هذه الصفقة إن شئت الدقة ويدخل عليهم كما يقولون « بالحنجل والمنجل » وقد ينجح فى التأثير عليهم بلسانه المعسول وهداياه الثمينة وأناقته وكرمه ، ولا يزال بهم حتى يوافقون ويفوز بالإبنة العزيزة والثمرة اليانعة ، وليست إلا أيام قليلة تمضى حتى ينكشف كل شىء تدريجيا . . فإذا الصورة الحقيقية فراغ وخواء وكذب وافتراء . . كل شىء مفتعل ومختلق . . ومثل هذا السلوك ليس جريمة فقط ولكنه جرائم وانعدام ضمير وضعف نفسى وسوء خلق وبُعد عن الدين بل وسوء عقل لأنه لم يفكر لحظة فى العواقب . . كل همه أن يحصل

بالنصب والاحتيال على ثمرة ليست له ، والبعض لغرورهم وقلة ادراكهم يحسبون انهم الماكرون . . انهم يعرفون من أين تؤكل الكتف ، والمرأة نادرا ماتخدع . . ولكن الخادع هو الذى يكذب وهو الذى سيخدع ويكتشف بعد وقت أن كل ما تمناه لن يكون له . . لأن المرأة لاتعطى إلا من تحب . . وأكره شىء على قلب المرأة رجل كاذب . . لأنه يكون بهذا قد خانها وهى لابد أن تخونه ، وإذا لم تفعل فعلى الأقل لن تعطيه ما كان يطمع فيه والعواقب بعد ذلك ليست هينة ولا قابلة للحل ، فإذا الذى كان يصبو إلى الجنة مع هذه الفتاة الجميلة الثرية ، إذا به قد ألقى نفسه فى نار لاتهدأ وبركان لايتوقف عن الثورة والغضب . . فلا يحسب أحدكم حين يفكر فى الزواج حساب المنفعة العاجلة أو المتعة القريبة .لأن الزواج استثمار عاجل وآجل . . وأخطر مافيه وهذه قيمته الحقيقية الآثار الآجلة . . إما خيرا وإما شرا والعياذ بالله .

٥ ـ العمـــــــل :

على الرجل الذى يستعد للزواج أن يكون ذا عمل ، وأن يكسب قوته بعرق جبينه ولا يقبل الاعتماد كلية على غيره ، لأن الاعتماد على الغير له نتائج سلبية نفسيا وإجتماعيا وماديا أيضا ، ولا يمكن أن يحقق السعادة المرجوة ولا اللذة التى يستشعرها من حصل على المال بالجهد والعرق ، ولا يسعد المرأة أبدا أن يكون إلى جوارها دائما زوج عاطل اليد حتى لو كان ينام فوق الملايين . . لأن عاطل اليد فى العادة يكون تافها ، فارغ العقل . . سقيم القلب والوجدان ، فضلا عن أن الرجل الذى لايعمل هو فى الحقيقة يمثل ظاهرة مضادة للطبيعة التى خلقت الرجل بمواصفات معينة لايملك معها إلا أن يعمل ويشقى .

ألا ترى إلى الرجل الفقير الذى كان يتمنى أن يعمل طيلة النهار من

أجل قروش قليلة ، فإذا أكرمه الله بمشروع يدر عليه الجنيهات ، زاد جهده وكسب عشرات الجنيهات فتوسع فيه حتى كسب المئات وتوسع أكثر فكسب الألوف ويعتقد البعض إنه إنسان مادى يجرى وراء المال . . الحق أن هذا الاتهام أحيانا ينطوى على ظلم وعدم فهم للدافع الحقيقى وراء هذا التوسع وهذا المال . . إن ذلك يكون بمثابة فرصة عمل مشجعة ومثمرة كى يبذل فيها هذا الرجل الذى كان بسيطا حبه للعمل واقباله عليه ورغبته فيه لأنه يلائم طبيعته ومادام العمل يثمر ويرزق بالكثير ، فمرحبا به . . فالرغبة أساسا تكون انطلاقا مع الطبيعة ، وحبا للعمل لا للمال . . بدليل أنه لو حقق كل ما كان يبتغى وأكثر لما رضى أن يبقى فى البيت ساعة واحدة . . ولو اعتقد هو نفسه أنه يخشى على مصالحه . . إذن لابد من العمل ، وقلة العمل تفسد الجسد وتضعف الأمل وتصد النفس وتدفع للملل والسخف ولكل فعل تافه .

٦ ــ البعد عن المخــدرات والكحوليات :

كل من يدمن الكحوليات أو المخدرات أو تشغله المقامرة وتجذبه إليها ولايملك لها ردا أو منها مفرا عليه ألّا يفكر فى الزواج . . يكفى خرابه وحده ولا داعى لأن ينجب أبناء أبرياء ويفرض عليهم العيش فى أسرة خربة وبيت منهار ، ولا يستقيم هنا أيضا قول البعض أن الزواج ربما يفيد المقامر أو المدمن . . أبدا . . أبدا . .

الزواج مشروع اقتصادى ومؤسسة كبيرة وخلية هامة من خلايا الوطن لايحسب أى شخص أو أسرة أنه لعبة ، يمكن ممارستها يوما أو بعض يوم ثم التخلى عنها إذا لم تعجبه أو إذا لم يفلح . . لابد من مواجهة النفس بالحقيقة قبل أن نحمل الآخرين أعباءنا وعيوبنا . . وليس الناس كما

هذه هي بعض السمات أو الشروط التى يتعين على الزوج أن يتفقدها فى نفسه ويتأكد أنه يتمتع بها ، وعليه أن يحرص على التخلص مما يشينه بوجه عام ومن حق أهل المرأة أن يطمئنوا إلى أن الرجل الذى يخطب ودهم ويطلب يد ابنتهم يتميز بحسن السجايا ، وليس فيه ما ينتقص من كرامته وأهليته وقد نصح الرسول الكريم الآباء بانتقاء أفضل الرجال لبناتهم قائلا : النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته . .

وذلك لأن المرأة لاتملك أمرها فى بيت زوجها ولا حتى فى نفسها فهو السيد بحكم الشرع وهو حر يتزوج كيف ومتى شاء ، ولهذا اعتبر صاحب السنة المطهرة صلى الله عليه وسلم الزواج عبودية للمرأة وقيد مفتاحه بيد الرجل .

وقال رجل للحسن : قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوجها ؟ قال : ممن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

وقال المصطفى : من زَوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . . أى أنه تسبب فى أن يهجرها أهلها لأنهم حريصون على تجنب لقاء زوجها اللعين .

وإذا كانت السمات السابقة يلزم بالضرورة توافرها قبل التفكير فى الزواج بها يعنى أن عدم وجودها يوجب صرف النظر عن الفكرة تماما ، فتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الصفات الأولية التى تبحث عنها النساء فى الشباب الذى يتقدم إليهن . . فهى من الصفات المحبذة لقبولها ، وتوفرها يرفع قدر الرجل فى نظر المرأة وفى نظر أمها بالذات ثم أبيها . . وهذا يسهل مهمته ، من أبرز هذه الصفات :

يقولون لبعضهم . . هذا عبث وارتجال . . وأسوأ منه الذى يخفى على امرأة وأسرتها أنه يقامر أو يتعاطى المخدرات . . أقل ما يوصف به الخيانة والغدر والشروع فى القتل مع سبق الإصرار والترصد . .

ولا داعى أيضا للمفاضلة بين هذه الموبقات ، فالقمار ليس أسوأ من الحشيش والخمر ليست أرحم من الأفيون وغير ذلك من المماحكات المضللة ، الخادعة . . فكل ذلك مدمر وليت هناك قوانين تمنع مثل هؤلاء المدمنين من الزواج ، مادام المجتمع بوزنه لايستطيع أن يمنعهم مما هم فيـه .

٧ ــ الاســـتعداد بالمال :

لن ينهض زواج وخاصة فى أيامنا هذه على غير عمد من المال مهما كانت الحياة المأمولة بسيطة والأطماع متواضعة ، ويفضل أن يكون المال كافيا لبناء بيت صغير ، والأيام كفيلة بتطويره مع العمل والفهم المتبادل ، أما خلو اليد تماما فيصعب معه التنبؤ بفترة خطوبة معقولة أو بالتفاهم أو بالراحة بعد الزواج الذى سيقوم ولاشك على الديون .

وتمد لنا الحكمة الشعبية يدها قائلة : استعدل ولا تستعجل أو تقول بسخرية لاذعة « اللى يتجوز بالدين يبيع أولاده بالفايظ » وبعض هذه الأمثال يبالغ قليلا ، لكنه يشير إلى ما يتطلبه الزواج من الاستعداد فيقول « إذا كنت عايز تتجوز ، حط الحبأ والنبأ وشوشة أمك وأبوك فى الطبق » .

والمثل الشعبى البليغ هو الذى ينبهنا إلى ضرورة الإستعداد لذلك . . يقول مستفزا الشباب بالجمال وتكاليفه : اللى ما يقدر على الحمرا وعليقها يخلى من طريقها .

* * *

ـ حسن الصورة وأناقة المظهر . . وهذه الصفة تهم المرأة كثيرا خاصة عند النظرة الأولى .
ـ الثراء والكرم [مهم جدا فى نظر المرأة اجتماعهما معا] .
ـ المؤهل العلمى [مخطىء من يتصور أن الغنى يفضل المتعلم فى نظر المرأة . . على العكس التعليم للرجل يعنى المرأة جدا لأنه يرقق المشاعر ويخفف الطغيان والسيطرة] .
ـ المرح بلا إسراف والجدية بلا جفاء .

وللمركز الأدبى أهمية كبرى ولكنه يتحدد حسب المستويات الاجتماعية المختلفة ، أما قوة الشخصية وهى من ألزم الأمور بالنسبة للرجل فإنها لاتظهر على الفور وإنما يتطلب ظهورها وقتا وتكشف عنها اللقاءات وتبرز عند النظر فى شئون معينة أو فى مواقف يعوزها الرأى والكلمة .

وقد يلاحظ القارىء أننا لم نشترط التعليم فى الرجل ، وهو شىء لامفر منه ولكننا أردنا أن نتوجه بحديثنا إلى الجميع وخاصة أن هناك عددا كبيرا فاته قطار التعليم ، أو قفز منه مؤثرا العمل بالتجارة مع الوالد أو فى الورش الفنية والحرف المختلفة . . وليس معنى حرماننا ـ لسبب أو لآخر ـ من التعليم اعتبارهم غير مؤهلين للزواج . . أبدا . . الزواج علاقة إجتماعية وشرعية مرخصة للجميع ونتمنى لهم من قلوبنا كل توفيق وفلاح .

كلمة قبل اختيـــار الزوجة :

مهمة اختيار الزوجة فى هذه الأيام أصبحت تقع فى الغالب على عاتق الشاب ، لأنه يعيش فى مجتمع مفتوح . . خرجت فيه المرأة للعمل جنباً إلى جنب مع الـرجل . . فى المصنع والمتجر والمدرسة والمعمل والسوق والمستشفى بل وفى الجيش والشرطة .

فالشاب إذن محاط من كل جانب بالمرأة يكلمها وتكلمه ، يحكى لها أحيانا بعض أموره وتحكى له ، يسيران معا ويأكلان ويشربان ، ويسأل كل منهما عن الآخـر ، ويتابع باهتمام أخباره وأخبار أسرته . . وهكذا أصبحت مهمـة العـائلة فى الإختيار محدودة ، بعد أن كانت هى التى تبحث وتختار وتتفق وتزوج وتنفق وتربى وتوجه وتعاقب وكثيرا ما كانت هى أيضا صاحبة قرار الطلاق أو الزواج من ثانية .

وهذا لايعنى بالطبع إلغاء دورها تماما ، إلا أن اللقاء الدائم والمستمر بين الفتى والفتـاة ، بين الـرجـل والمرأة ، ينقل معظم فرص الإختيار إليهما ، ولا يمنع ذلك من أن يختار الأهل لولدهم فتاة تعجبهم غريبة أو قريبـة ، وفق ما يتمنون وحسب المعايير التى خبروها والمواصفات التى عهدوها ضامنة لسعادته محققة لراحتــه .

ولاشك أن الأهل والكبار المجربين بشكل عام لهم نظرة فى المرأة وفى الزواج جديرة بالإعتبار ، وتستأهل الاحترام من الشاب . . إلا أنه فى العادة لم يعد يستسيغ هذه النظرة أو يؤيدها ، ويحرص كل الحرص على أن يكون اختيار الزوجة بيده وبرأيه .

أيا ماكان الأمر فسواء اختار الشاب فتاته أو اختارتها عائلته فلابد أن

تكون هناك أسس لهذا الاختيار ومعايير شبه ثابته ، أقول شبه ثابتة لسبب بسيط وهو أنها لايمكن أن تتحقق مجتمعة وبالنسب المطلوبة فقد يطلب الرجل ويتمنى ويصبر السنوات يبحث عن امرأة جميلة بنسبة لاتقل عن ٩٠٪ ، ومن السهل أن يجد هذه النسبة فى الجمال ، ولكنه يتمنى أيضا أخلاقا لاتقل عن ٧٠٪ وعلما ٥٠٪ وأسرة مستواها الإجتماعى ٦٠٪ . .

وهذا معناه أن يظل عمره يبحث دون أن يعثر على هذه النسب ، مع الأخذ فى الاعتبار امكانياته هو ، وشكله وخلقه ومستواه الإجتماعى وعلمه . . ومع ذلك فإن عليه أن يقبل بـ ٧٠٪ جمال و٧٠٪ أخلاق ومستوى اجتماعيا وعلما فى حدود ٥٠٪ .

المهم أن المعايير سوف تكون أقرب إلى الأوانى المستطرقة ، أى أنها تقبل الإقراض بعضها لبعض لتتساوى فى النهاية . . فهذه تنقص عشرة وهذه تزيد عشرة ، وتلك تنقص والأخرى تعوضها . . فيمكن مثلا أن ينقص الجمال عن المطلوب ٢٠٪ وتزيد الأخلاق بنفس النسبة أو المستوى الإجتماعى .

ويحدث أحيانا أن تقع ـ صديقى الشاب ـ على فتاة وترضى بها وتحسب أنها تقل كثيرا عما تمنيت ، فإذا بها فى الحقيقة وبعد المعاشرة وبفضل حسن إدارتك وسمو روحك أفضل مما كنت تتصور أو تتمنى .

لابد إذن أن نحدد العناصر والصفات اللازمة لزوجة حسنة العشرة تعين على الحياة وعلى نوائب الزمان ، تبهج وتشرف . . ونأمل أن نتمكن من فحص وتمحيص هذه الصفات والتأكد منها . . فكيف نعرف مثلا أن هذه الفتاة حسنة الخلق ؟ الإجابة ليست فى كل الظروف سهلة . . ومحاولة الحصول فيها على رأى قاطع أو حكم نهائى ومؤكد مهمة

صعبة . . ثم ماهى حدود حسن الخلق فى رأيك ؟ لاشك أن رأيك يختلف عن رأيى وعن رأى أخيك ورأى أخرين . . خاصة ان الإجابة على مثل هذا السؤال فى عصر الإنفتاح والنفعية لن تكون واحدة . . لأن القيم كما يقول أهل الحرف أصبح فيها « بوش » . . فيه مساحة مسموح بها تزيد وتنقص حسب طبعك وفهمك للمرأة وفهمك لنفسك ولقدراتك ونوع الحرية المسموح بها . . إلى آخره .

المهمة إذن التى يطمع هذا الكتاب إلى أن يعين عليها هى تحديد صفات المرأة المناسبة وكيفية التحقق من هذه الصفات ، بل والمساعدة فى رسم صورة جديدة لنفسيتها نحو زوج المستقبل .

فلماذا نحاول معاونة الرجل ليحسن الإختيار ؟

أولا : لأنه هو الذى يختار بشكل علنى زوجته على الأقل فى مجتمعنا الشرقى وليس العكس .

ثانيا : لأننا لاحظنا قلة درايته بالمرأة وبسبل الاختيار ، ونتصور أنها قادرة على فهمه واختياره ولديها قدرة كافية غالبا على تقييمه .

ثالثا : لأن دور الرجل فى العلاقة الزوجية - شئنا أم أبينا - هو القائد المسئول وهو المتبوع والقدوة ، وهو رب الأسرة وعقلها وحاكمها وقاضيها ، وهو الذى يحدد نوع ولون الحياة التى سوف تحياها الأسرة ، والمنهج الذى يتوجب على جميع افرادها اتباعه .

وهذا كله يعنى أن مهمة اختيار الزوجة ليست مجرد محاولة لاتفضل كثيرا محاولة شراء منزل أو قطعة أرض أو سيارة ، المسألة أعقد من هذا بكثير والنتائج المترتبة عليها خطيرة وبعيدة المدى .

الصفات الأساسية لشريكة العمر :

لم تتفق آراء الحكماء والعلماء على صفات محددة للزوجة المناسبة لأن ذلك يرتبط بظروف وطباع كل من الزوجين ، وإن كانت فى الأغلب تؤكد على حسن الخلق والجمال وتختلف فى غير ذلك ، إلا أن التجربة الطويلة مع المرأة بشكل مباشر وغير مباشر تشير إلى أن أهم الصفات الأساسية المطلوب توافرها فى رفيقة الدرب وشريكة العمر وأم الأولاد ست صفات . . لانكتفى هنا بعرضها ، ولكن لابد من ترتيبها حسب الأهمية والأثر . . وأهمية الصفة وقيمتها تتحدد حسب طول مدة الانتفاع بها وكذلك حسب دورها فى تشكيل حياة زوجية سعيدة .

فلا تأتى مثلا صفة التعليم قبل حسن الخلق أو قبل صفة الجمال ، لأن حسن الخلق مطلوب حتى النزول إلى القبر ، إذن فتأثيره ممتد وعمر استخدامه طويل حتى الجمال رغم أهميته ، فعمره مهما امتد قصير بالقياس إلى حسن الخلق ، وإن كانت نضرة الوجه وبهاؤه تتناسب مع تأجج الشباب والحيوية عند الرجل ، ثم تبدأ المسائل تدريجيا فى الإنحدار ، وينوب عن الجمال عند المرأة والحيوية عند الرجل الحب والعادة وحسن العشرة .

وتبعا لهذا الفاصل أو المعيار الذى التزمنا به فى تحديد قيمة الصفة وبالتالى درجة أهميتها لتكون مؤشرا للراغب فى الزواج وهاديا فى اختياره ، جاء وضع الصفات على النحو التالى :

أولا : حســـن الخلق :

أفضل مايزين البشر عامة والمرأة خاصة حسن الخلق ، والحكم على

المرأة فى هذه النقطة يتحدد من خلال قناتين ، هما الجسد واللسان . . وكل ما يختص بالجسد يدخل فى باب الشرف ، من أول الثياب مرورا بالعين واليد وحتى الفرج وقد يدهش البعض إذ تحتسب الملابس ضمن حيثيات حكمنا على الشرف لكنها الباب الأول ـ فى حالة المرأة بالذات ـ التى يبدأ منه الحكم على الشرف سلبا وإيجابا ، لابشكل نهائى ، ولكن بصورة نسبية ، فمن غير المعقول أن تحكم على فتاة تسير فى الشارع عارية الصدر والذراعين ـ مهما كانت طاهرة الذيل حسنة السمعة ـ على أنها شريفة مائة فى المائة . . لابد أن تنقص بعض الدرجات لقاء هذا الرداء العارى الذى كشف عن أعضاء لايجوز كشفها .

فليس يكفيها ولا يشفع لها أنها نظيفة السلوك ، لم يمسها قط إنسان وحسبها هذه الثياب التى لم تستر عورات لحمها ، فحركت كوامن الرجال وأثارتهم ولفتت أنظارهم وشغلت خواطرهم ، وفى هذا ما يمس الشرف .

أما اللائى يرتدين الثياب السابغة ، فإنهن يغلقن باب الريح . . باب الطمع فيهن والتقرب إليهن بالعبث والغواية ، حيث يجد الشيطان ملعبه مجهزا لممارسة هوايته الأثيرة .

والعيون مثل الثياب وأخطر ، تدخل حركتها وعملها فى باب الشرف سلبا وإيجابا ، وكم هى بليغة لغة العيون ومعبرة ، وكافية للتلويح بالرغبات وقادرة تماما على التعبير عن الخوالج والنزعات . . قادرة على الدعوة والنداء ، المنع والصد ، الرجاء والرضا ، وكذلك الخجل والحياء وقد قال عنها الشعراء والكتاب أكثر مما قالوا عن القمر . . صديقهم وأنيسهم فى الليل الساهر . . واليدين لهما أيضا لغة وتعبير . .

والشرف فى حياتنا الشرقية والإسلامية بالذات ليس عنصرا هاما من عناصر حياتنا فقط ، ولكنه هو الحياة نفسها . . وليس يعنينا فيها شيء قبله ويكفى الإشارة إلى أن أغلب عمليات القتل من أجل الشرف . . وتصور رجلا قتل ولده أعز ماالديه فيبلغ الشرطة ولا يقدم على القتل أو الثأر لولده ـ إلا فى الصعيد طبعا ـ انتظارا لرأى النيابة وحكم القضاء .

أما فى حالة الشرف فليس من وسيلة حتى للعاجز المسكين غير التفكير فى القتل مهما كانت الوسيلة . . فالشرف قيمة معنوية غير ملموسة ، لاتباع ولا تشترى وجسد المرأة هو حياة الرجل وكرامته واسمه وسمعته لعشرات السنين ، وهذا ما دعا الرسول إلى مطالبتنا بالحرص على اختيار ذات الدين ، فهى سوف تكفينا مئونة ذلك ، وخاصة أن الرجل ليس قادرا على رقابة زوجته ولو اجتمع له من المعاونين عشرة ، الأمر كله متروك لها ، وينبع من ذاتها ورغبتها وصدقها مع نفسها . . وإذا أرادت فعلت ، وبإمكانها أن تحمى نفسها من كل من يتربص بها ، والدين فى قلبها وروحها يتولى هو هذه الرقابة ، حيث ينتقل بها من خارج المرأة إلى داخلها ، فيحول الرقابة من عيون وآذان تتجسس وتراقب إلى ضمير حى وشعور عميق بالشرف والحياء والإخلاص . .

قال خاتم الأنبياء والمرسلين « تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، وفى حديث آخر قال « من نكح المرأة لمالها وجمالها حُرم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام : لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها » .

والعنصر الثانى من عناصر حسن الخلق هو اللسان . . لأنه مسئول تقريبا عن أغلب الزيجات الفاشلة ، والأبناء السفلة ، ولسان الزوجة إذا

ساء عكر الصفو ، وضيق الصدر وأثار الغضب وأشعل نار الشقاق وقد يفضى إلى الطلاق أو القتل . . قال خاتم الأنبياء المصطفى صلوات الله عليه وسلامه : « استعيذوا من الفواقر الثلاث » وعد منهن امرأة السوء ، فإنها المشيبة قبل المشيب . . إن دخلت عليك سبتك وإن غبت عنها خانتك .

فمهما كانت المرأة جميلة وشريفة ومن بيت طيب وغنية ثم افتقدت حلاوة اللسان كانت وبالا على زوجها ، تكويه إذا جاء أو ذهب بلسانها السليط ، وتصب عليه سخريتها اللاذعة . . لاتنطق إلا أسوأ الألفاظ ولا تعالج مشكلة إلا بالسب واللعن والتهكم أو المعايرة والتذكير بسيء المواقف وأتعس اللحظات .

قال أحد الحكماء العرب لبنيه : لقد أحسنت إليكم قبل أن تولدوا ـ فسألوه : كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ . . فأجاب : اخترت لكم من الأمهات من لاتسبون بها .

أعرف رجلا طلق زوجته بعد شهور لأنها من هذا الصنف وأقسم ألا يتزوج أبدا ، إلى أن شاءت إرادة الله فعوضه خيرا منها . . وكان لى صديق هجر مصر كلها منذ خمس عشرة سنة هروبا من زوجته المؤذية بسبب لسانها الذى لايكف ليلا أو نهارا ، بل إنها لاتتوقف عن السب وهى وحدها فى البيت ، ولم يطلقها لأنه يكره الطلاق وكان يعتبره سبيل العاجزين . . وآثر الهروب من البلاد . . ولم يعد إليها حتى الآن وسمعت أنه تزوج نمساوية وعرفت أن زوجته الأولى ذات اللسان المنطلق ، قد طلبت الطلاق من المحكمة وحصلت عليه . . وتزوجت من مدمن ، لاتكاد تعثر عليه وإذا أوقعه الله فى يدها سبته وهو لايدرك من لغوها كلمة .

قال أحد رجال العرب الحكماء « لاتنكحوا من النساء ستة » الأنانة والمنانة والحنانة ، ولا الحداقة والبراقة والشداقة » .

والأنانة هى التى تكثر الأنين والشكوى وتدعى المرض والإجهاد .

والمنانة هى التى تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا .

والحنانة هى التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر .

والحداقة هى التى تحدق فى كل شىء وتشتهيه وتطلب إلى زوجها شراءه أو التى تغضب على الطعام وتريده من نوع خاص وتبحث دائما عن نصيبها وحدها من كل شىء .

والشداقة كثيرة الكلام . . ويؤيد ذلك قول الرسول الكريم « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين » .

وفى وصية لقمان لابنه : يابنى إتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النساء فإنهن لايدعون إلى خير ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل فى حسن خلق المرأة الكثير ، منه قول السائح الأزدى حين لقى إلياس عليه السلام فطلب إليه ضرورة الزواج وهجر التبتل ، فسأله إلياس عن أفضل الزوجات . . قال السائح الأزدى :

« لا تنكح أربعا : المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز ، فأما المختلعة فهى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا . . والعاهرة هى الفاسقة الفاجرة ، والناشز التى تعلو على زوجها بالفعال والمثال » .

لذلك أوجز الرسول القضية وأشفق على الرجل من المهمة ، وادخر له الجهد وأنقذه من مشاكل لاتنتهى وعذاب لاينقضى وهم بالليل والنهار ، بأن دعاه لاختيار ذات الدين .

ثانيا ــ الجمـــال :

ويقصـد به حسن الـوجـه وخفـة الـظل ، وهمـا من أسباب الألفة والمـودة . . لأجلهـا يسعى الزوج إلى زوجته بعد الفراغ من عمله . . فيحب بيته ويستقر فيه يدعمه بمحبته ورعايته ولا يهجره إلى سـواه . .

الـزوجة الجميلة ذات الخلق مصدر هناء ونعمة لا تنافسها نعمة فى الدنيا بل إنها رزق كبير لاتعدله العقارات ولا ألوف الجنيهـات .

وليس المطلوب هو الجمال الصارخ الذى يذهب العقل ويشغل البال ويؤجـج نار الغيرة أو يحمل الزوجة على الكبر والغطرسة ، لكن الجمال المعقول الذى تتم به البهجة والسرور « الجمال كتير بس الخفيف صدفة » .

يقول نبينا صلى الله عليه وسلم « خير نسائكم من إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

على أن مقـاييس الجمال تختلف من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى آخـر ، فقـد كانت الجميلة فى نظر آبـائنا هى البيضاء البدينة المحملة بالذهب « والطين » واليوم يتمنى بعض الشباب أن تكون فتاته مثل فنانة شهيرة ، وقد يتصورها كأمه ، أو يتمثلها على نحو ما فى خياله وليس لها فى الواقع قرين .

وبعض علماء النفس يؤكدون على أن الشباب يبحث فى العادة عن الفتـاة التى تشبـه أمـه ومن هنا نلاحظ تشابه الأزواج ، حتى لنعتقد البعض منهم أخوة ، لو لم نكن نعلم من قبل أنهم أزواج .

ويعلل هؤلاء العلماء تشابه الأزواج على أساس اختيار كل شاب لمن تشبـه أمه . . لأنه منذ أن يبلغ سن المراهقة ثم الشباب يتخيل صورة

معينة من الجمال تلازمه مدى حياته مهما تأثر ببعض الظروف الإجتماعية والنفسية وهذه الصورة هى صورة أمه وقت الرضاع وفى أثناء السنوات الخمس التالية ، وذلك لأنه فى هذه السن يلتصق بأمه لأنها أقرب الناس إليه ، وأكثر من فى الدنيا عطفا عليه واهتماما بحاجاته . . فوجه أمه أجمل الوجوه وصوتها هو أرخم الأصوات وقامتها هى القامة المثلى للنساء الجميلات وتظل هذه الصورة كامنة فى ذهنه ، مطبوعة فى نفسه ، متألقة فى فكره إلى أن يبلغ المراهقة فالشباب ثم يحين موعد اختيار الزوجة ، ودون أن يدرى يبحث عن الصورة التى فى خياله . . الصورة التى يتمناها لفتاته . . الصورة التى تمثل القيم الجمالية التى استقرت فى نفسه منذ الطفولة . .

وهذا مثال دقيق وصادق لخطر فترة الطفولة على حياة الطفل وحياة المجتمع كله فكل ما يلقاه ولو عرضا ينطبع فى عقله ونفسه ودمه وأعصابه . . ومن النضج يبدأ كل ذلك فى التحرك والتوجيه . . والإصرار على الحفر فى اتجاهه القديم .

ويرد علماء النفس على اعتراض البعض على نظريتهم بأن هناك أزواجا غير متشابهين بقولهم : هذا الإختلاف قليل الحدوث ومرجعه أن الزوج لم يختر زوجته لجمالها ولم يقيم شكلها . . ولكنه اختارها لأسباب أخرى كأن تكون ثرية أو ذات حسب ونسب وربما يكون قد تربى بعيدا عن أمه ، بمرضعة جمعت عواطفه نحوها ، أو تكون أمه قد توفيت بعد سنة أو سنتين ، قبل أن تنطبع ملامحها فى ذهنه . وصورة الأم التى تنطبع فى النفس والخيال والفكر هى صورتها بين العشرين والأربعين حين كانت شابة متألقة بالنشاط والحيوية .

وإذا كنا لانستطيع أن نختلف مع ما ذهب إليه علماء النفس لأنه أمر

واقع ويكاد يكون حقيقة مستبدة ، إلا أن شباب اليوم اختلط كثيرا ببعضه وجرب كثيرا وسافر ، وتعددت فى عينه الوجوه ، وتقلبت أمامه الصور واختلطت القيم وتأثر اختياره لفتاته بعشرات المؤثرات الإجتماعية والإقتصادية والعاطفية .

وقد شهدت حياتنا المصرية فى السنوات العشر الأخيرة تكالبا على المصالح وسعيا وراء المكاسب والمنافع بصرف النظر عما يقتضيه هذا السعى من إهمال لحق الأهل أو الواجب أو حتى الدين ، فما بالك بشكل المرأة .

أضف إلى ذلك خطورة العامل الخلقى فى حياتنا وتأثيره على الاختيار وقد أصبح ضرورة وحتمية يلتزم بها الشاب فى ظل أجواء التسيب والإنحلال ، فالبحث لم يعد عن الشكل أولا ، ولكن عن الخلق وعن المصلحة وعن ذات الوظيفة والدخل ، أو ذات الشقة . . الخ .

ورغم أنى لاأملك دليلا علميا يدحض ماذهب إليه علماء النفس كما أنى لا أملك دليلا علميا يثبت ماسأزعم إلا أننى على ثقة من أن الزواج فى حد ذاته والتأثر والتأثير المتبادل بين الزوجين له دخل كبير فى تحقيق هذا التشابه ، وخاصة إذا اتحدت قلوبهم وتآلفت وتحابا وأصبحا روحا واحدة فى جسدين . . وكيف لا وهما يأكلان طعاما واحدا فى إناء واحد ، ويشربان ماء واحدا ويشعران شعورا واحدا ولهما هدف مشترك ، وفى عروقهما دماء واحدة . . اختلطت أو كادت الخلايا فى جسديهما . . ألا يفضى كل هذا إلى ملامح متقاربة . . ألا يؤدى إلى إعادة تشكيل القسمات حسب الإئتلاف الجديد والالتحام الوثيق بين زوجين متحابين .

لقد راقبت عددا من الأزواج عدة سنوات ، فوجئت خلالها بأنهما بدءا مختلفين وتدريجيا شرعا فى التقارب والتشابه . . أضحى كل واحد منهما يتجه بملامحه صوب الآخر ، وخاصة فى مجتمعاتنا العربية والمصرية بالذات حيث نبض القلوب واحد والأجساد ملتصقة والأنفاس متداخلة وساعات الصحو والنوم واحدة والهم والضحك والبكاء واحد .

أيا ما كان الأمر فيما تراه النظريات . . فالعقل الشخصى والعقل الجمعى يحتم أن يلحق الجمال حسن الخلق ، لأن أسوأ الزوجات هى الجميلة بلا خلق ولا دين ، وأم الفتى فى بلدنا تقول لفتاته « امشى أما أنظرك واتكلمى أما اسمعك » .

وأجدادنا على ما يبدو كانوا من عشاق الجمال ، يتمنونه ويبحثون عنه عمرهم ، ويطلبون التطلع إليه حتى وهم فى الطريق إلى القبر . . ومنهم من قال « خُد الجميل واقعد فى ظله » ومن قال « خُد الجميل واستريح » أى أن الحصول على الجميل هو منتهى أمله . ويبالغ البعض فيقول « خد الحلو واقعد قباله ، وإن جعت شاهد جماله » .

ثالثا : طيب العنصــــر :

أى أن تكـون من عائلة طيبـة ، يتسم أهلهـا بالتقوى والصلاح ، ويتميزون بحسن السمعة والأخلاق الحميدة ، وليس من السهل فصل البنت عن أهلها لأن العرق جساس ، فيقول الرسول الكريم « تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع » .

فالزوجة سوف تصبح أما مسئولة عن تربية أبنائها ورعايتهم ، فإذا كانت من بيت كريم وقـويم ، ظهر أثر ذلك على الأبناء أدبا وتربية ،

وأجدادنا قالوا « خد الأصيلة ولو كانت على الحصيرة » ، ولديهم كل الحق أن يقولوا « دور مع الأيام إذا دارت وخد بنت الأجاويد إذا بارت » .

فما الذى يجبر شابا على الزواج من ابنة مدمن للخمور والمخدرات أو مقامر أو أخت لص معروف أو ابنة سيدة متهمة فى شرفها أو شقيقة مهرب أو مرتشى . . ولعل فيما حدث لصديقى عبرة لنا ، إذ كان يميل إلى فتاة طيبة وجميلة على خلق واستقامة ، لكنها من بيت عجيب . . الأب مقامر والأم عصبية ربما بسبب ظروفها ، دائمة الثورة ، والأخ رفض الحصول على الثانوية وآثر التسكع فى مواقف السيارات والمقاهى ومصاحبة المتشردين،والجد كان لصا وقبض عليه وقضى مدة العقوبة ثم تاب واستقر ومازال يحيا مشلول الهد . . ثقيل اللسان ، وفى البيت أختها الكبرى مطلقة ومعها ثلاثة .

أبديت عدم رضائى عن هذه الزيجة ، فأجابنى بأن المهم عنده الفتاه فهى وردة فى وسط شوك ، وبالإمكان فصلها عنهم ، وأمرهم لايعنيه ، فليذهبوا إلى الجحيم . . سوف يقطع كل صلة بهم ، وسوف يسكن بعيدا عنهم ، إلا أن الصلة لم تنقطع ، ولم يكن مقر سكناهم ببعيد على كل من أراد بلوغه .

كانت أخلاقها الطيبة تدفعها إليهم ، وهم لم يبخلوا عليها بأخبارهم المشينة وسلوكهم الهابط . . ونقلوا مع الوقت إلى بيتها أمراضهم ومعاركهم وقضوا أغلب لياليهم عندها فى محاولات للصلح والترضية بين الأطراف المتنازعة . وكانت كل زيارة تحمل قصصا ومواقف . . لها مع كل يوم فصولا جديدة وحكايات لاتنتهى ، ومرات تأتى الشرطة للبحث عن أخيها الهارب ، ومرات يدق المحضر بابهم للحجز على موجودات

تخص أختها وقالت أنها عند أختها تهربا فى البداية ولكن المسألة قلبت بجَدْ وبغم .

كانت البنت الطيبة لاتنام كل ليلة إلا بعد نهر من الدموع ، ولا يسقط هو من الإعياء إلا بعد أن يدخن عشرات السجائر ويمنعه طيب عنصره وأدبه الرفيع وحياؤه من النطق بكلمة تمس مشاعرها أو تغضب قلبها ، لكنه تعب من تطييب خاطرها والتخفيف عنها .

قال الصادق الأمين : إياكم وخضراء الدمن ، قيل له : وما خضراء الدمن يارسول الله . . قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء .

وإذا كانت المرأة الحسناء يودى بها منبتها السيء فحكمة الشعب توصى الشباب قائلة « بنت الأكابر غالية ولو تكون جارية » .

ويرتبط طيب العنصر وسلامة المنبت بتناسب المستوى الإجتماعى وطلب الفلاح يحتم أن تأخذ من مستواك ، ومن طبقة مثل طبقتك . . وهذا يعنى الكثير . . لأن إقدامك على الخطوبة من أسرة عالية المقام ليس عيبا ، ولكنه يحتاج إلى إمكانيات كبيرة قد لاتستطع توفيرها والمداومة عليها ، فضلا عن تحملك وأهلك الكثير من المواقف الصعبة ، ويتطلب النفاذ منها قدرة بالغة لايتميز بها الكثيرون وهذا ما حذر منه المثل الشعبى الذى قال : خد ندك على قدك . لأن التجربة الطويلة التى مارسها الأجداد على مدى قرون كشفت لهم سوء العواقب الناتجة من اختلاف الطبقة أو المستوى الإجتماعى ، وما يشوبها من اللغو والمباهاة ، وخاصة علو شأن المرأة الذى يدفعها أحيانا للذراية بزوجها ، وربما يثور لكرامته فيجرم وتكون الطامة وقد يقبل فيعيش ذليلا ، وما أسوأ أن تعيش تحت أقدام امرأة تتدلل عليك بمالها وحسبها وأنت بلا حول ولا قوة .

ولا أظنه يحتاج إلى التفسير مثل شعبى يقول « اللى ما ياخد من ملته يموت بعِلّة غير علته » .

رابعا : البكـــــارة :

أن يتزوج الشاب بفتاة بكر مسألة فى منتهى الأهمية ، وتختلف كثيرا عما لو تزوج فتاة غير بكر . . بسبب الإنحراف أو الزواج من قبل . . وقد تأكد أن للبكارة فوائدة جمة من أهمهـا :

١ ــ طباع المرأة مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأنت إذ تتزوج بكرا فإنها تتعرف على جنس الرجال فيك ، وأنت بالنسبة لها أيا كان حالـك كل الـرجال ، تستمتع بقربك متشوقة ، ومندهشة ، تحس حلاوة اللذة معك ، خالية البال عن غيرك وغيرها ، وأنت بالنسبة لها ذو أهمية خاصة لأنك أول من فتح أبوابها وأول من اكتشف أسرارها ، والرجل الوحيد الذى قدمت له ماتستحى أن تعرضه على أبيها وأخيها . . قال رسول الله لجابر وقد نكح ثيبـا « هلاّ بكرا تلاعبها وتلاعبك » . أى مقبلة عليك خالية الذهن ممن عداك .

٢ ــ أنها تقبلك أنت لأنها لم تعرف غيرك ولم يسبقك من يخالفك لأن التى اختـبرت الـرجـال وعرفت قبلك ، ربما لاترضى بما بك ويختلف عمن كان قبلك .

٣ ــ أنت لن تسىء الـظن بالبكر إذا أعرضت أحيانا عنك ، ولن تتعجل الشك ، أما إذا لم تكن بكرا فقد تظن أنها حنت للزوج الأول أو تصورته ، أو ورد مجرد ورود على خاطرها ، وهذا أدعى لسوء ظنك وسرعة غضبك وتعكير صفو الحياة بينكما ، والأمر

لن يخلو من استحضارك صورة سلفك كلما اجتمعت بها . . الخ .

أما من سبق له الزواج . . أو الطلاق والترمل ، فلا بأس أن يتزوج الثيب فقد عرف هو الآخر قبلها وعرفت قبله ، ولكنه ربما - بحثا عن السعادة - يحاول أن يرتبط بالبكر . . وهو ونصيبه .

وفى إطار الحديث عن البكارة يتحتم التأكيد على اختيار صغيرة السن وهو مايعنى غالبا الجهال وقلة الخبرة بالرجال ، ويعنى احترامها لزوجها بحكم سنه الأكبر ، ويعنى قدرتها النفسية والبدنية على العمل والعطاء لعهد بعيد إذا مد الله فى الأجل . . ولابد أن الآباء كانوا يدركون ذلك تماما حين توجهوا إلى الزوج الجديد بالنصيحة قائلين « يا واخد الصغير ياحرامى السوق » . .

خامسا : الصحة البدنية والعقلية :

من المهم طبعا بل من اللازم أن تكون الزوجة فى صحة جيدة ، سليمة البنيان ، خالية من الأمراض ، صحيحة العقل ، لأنها تقوم فى العادة بجهد بدنى كبير فى العمل وفى المنزل ، ومن تحصيل الحاصل شرحه وتفصيله .

ومن المفروض ألّا نغفل التفكير فى الأبناء . . فلن يكونوا إلا ورثة لما نحن عليه من الصحة أو المرض ، من الطول أو القصر . . من القوة أو الضعف ، وما أحرانا أن نعد لهم كل أسباب القوة والعافية التى تمكنهم من تحقيق أمانيهم وهو ما تَقَرُّ به عيوننا .

ولن يقبل أحد بالطبع الارتباط ببلهاء أو عصبية حاضرة الغضب سريعة الثورة والإنفعال ، فهذا مما يعيب الفرد عامة والزوجة بشكل

خاص لأنها أم . . أساس البيت وهى قدوة أبنائها وهى السكن والحنان لزوجها . . وأنى لها هذا وهى على هذه الحال . . والمفروض أن بحث الرجل عن الزوجة هو فى الحقيقة بحث عن السعادة .

سادسا : التعليم :

لقد مضى العهد الذى كانت الأمية فيه متفشية والجهل بالقراءة والكتابة هو القاعدة السائدة وخاصة لدى البنات ، أما الآن وبعد قيام الثورة وفتح باب التعليم على مصراعيه ، لم يعد لائقا أن يقدم شخص مهما كان مستواه سواء كان فلاحا بسيطا أو حرفيا عاديا أو بائعا متجولا على الزواج من فتاة أمية ، وعليه أن يختار من يتوفر لديها قدر ولو بسيط من التعليم ، لأن الأم فى الحقيقة مدرسة بكل ما تعنيه الكلمة ، ودورها خطير ليس فقط فى التربية والرعاية والخدمة ولكن أيضا فى مساعدة أولادها إبان مراحل التعليم . .

والحياة اليوم أصبحت تتطلب من كل إنسان معرفة القراءة والكتابة كل حركة وكل خطوة تحتاج إلى التعليم . . ناهيك عن الفارق الكبير بين إنسان متعلم وآخر غير متعلم فى الفهم والتطور والثقافة والوعى .

وقد يدهش البعض لأنى لم أضع ضمن الصفات الأساسية فى الرجل الراغب فى الزواج ضرورة العلم فى حين أطلبه فى المرأة ، والحق أنه صفة مطلوبة فى الجميع ولا أستثنى منهم أحدا . . ولكن كثيرا من الرجال يتصرفون بحرية زائدة وهم أطفال ويهربون من المدارس ويلقون بأنفسهم فى الشوارع فيؤثر أهلهم دفعهم إلى الحرف ، وهكذا يكسبون عيشهم دون علم ، وهذه أمور تخرج أحيانا عن سلطان الآباء وقد تخرج أيضا عن

فهم الأبناء وتتجاوز مداركهم ، لأن أقصى ما تراه عيونهم ما تحت أقدامهم .

إذن فهنـاك فئة كبيرة من الرجال فاتتهم فرصة التعليم وهو بالقطع شيء معيب لأن العلم يسـير وهم يتصورون صعوبته بل استحالته فى السن الكبيرة . . ولكننا الآن بصدد الدعوة إلى تخير المتعلمة لأن الزوجة والأم هى التى ستباشر شئون أبنائها . . والزوج فى العادة معظم النهار خارج بيته ولا يدرى عن الأبناء شيئا ، وخاصة لو كان من أهل التجارة أو الحرف . . ومنهم من يوزع وقته بين الورش والمقاهى وأخيرا للبيت والنوم ومن هنا أنصح الزوج أن يختار (وهو ونصيبه) زوجة متعلمة لأن الأبناء برغم أنوفنا مسئولية المرأة . . ولا يضر بالرجل إذا كان حرفيا بسيطا أو تاجرا أن يسعى للزواج من متعلمة ، فالزوج مطلوب منه الرجولة وهى تعنى هنـا النفقة والحماية والرحمة والفهم الواعى للحياة ، ومن الزوجة الاحتضان والرعاية والحنان وخصوبة العطاء .

وبعد ، فهذه هى أهم الصفات التى يتوجب تفقدها فى المرأة التى تزمع التقدم إليها ، وقد أضاف بعض العلماء والمفكرين صفات أخرى كضـآلـة المهور ، ولكن هذه المسألة فى نظرى لاتعد صفة تشجع على التقـدم لأنها على الأقـل فى زماننا هذا تخضع للحوار المتبادل والتفاهم والـظروف المـالية لكلا الطرفين ورغبة الزوج الأكيدة وتشبثه بفتاته ربما تفرض عليه قبول أقسى العروض .

وهناك من يضيف إلى صفاتها أن تكون ولودا ، ولست أدرى كيف نتحقق من ذلـك قبـل الـزواج . . وهـذه المسـألـة لا أظنها تدخل فى اختصاصات العبد والأمر موكول لله وحـده .

وبعض العلماء يضيف إلى أهم صفاتها ألّا تكون قريبة حتى لاتوهن النسل ، . . ولهذه النظرية مؤيدون ومعارضون ولكل حجته . . وأيا ما كان الأمر فإنها تحتاج إلى التمهل فى النظر والتحليل ، وهو ماسيرد فى حينه .

وإذا كنا قد فصلنا إلى حد ما الصفات الأساسية للمرأة المناسبة وهى فى زعمنا الدوائر التى يجب أن يتحرك فى اطارها الراغب فى الزواج بوصفها الخصال المرغبة فى النساء . . فإننا كنا نتوجه بالحديث إلى الراغب فى الزواج ذاته . . الذى يطلب استكمال الدين ويطمع فى البنين والدار الهانئة مع امرأة حسنة العشرة .

أما من يريد أن يتزوج إرضاء للشهوة فقط ثم لايعنيه الأمر فى شىء ، فليس إليه حديثنا . . وأما من يريد الزواج ليتوسل به إلى مصلحة أو منفعة عملية كأن يرتبط بابنة الوزير حتى يشمله بعطفه ويصبح مديرا للإدارة أو وكيلا للوزارة ، وقد يقدم آخر على الزواج من ابنة أو أخت رئيس التحرير كى يوليه رئاسة قسم من الأقسام أو يجعله مسئولا وهو الشاب الصغير عن صفحة كاملة . . فليس إليه حديثنا . . ولن تفيده كلمة واحدة مما ذكرنا .

وأما من يريد أن يتزوج وعينه على مال الزوجة ، فقد كفتنا الحكمة الشعبية فى هذه النقطة بالذات جهد الإجابة أو التعليق وأسرفت وأكدت على خطورة هذا الزواج وسوء عاقبته ، فأبدعت المثل الشهير « يا واخد القرد على كتر ماله ، بكره يروح المال ويفضل القرد على حاله » .

ونصحت بصيغة أخرى متفائلة وواثقة فى كرم الله « خدوهم فقرا يغنيكم الله » وأنبأتنا بتجربتها الواعية أن رأسمال المرأة مذهبها لا ذهبها ،

وفى التلمود : إن أولاد الرجل الذى يتزوج طمعا فى المال يكونون لعنة عليه .

لتكن رغبتك ما تكون . . صارح نفسك بالحقيقة مع العلم بأن الفشل والعذاب مصير كل زواج يجرى وراء المصلحة والغرض الدخيل غير عمار الكون وسلامة المجتمع .

زواج الأقـــــارب :

التحقق من بعض صفات المرأة مسألة قد تكون هينة فى القرى والمدن الصغيرة ، ولكنها عسيرة فى المدن الكبرى التى تسكنها الملايين ، فكيف يمكن لشاب يقيم مثلا فى مصر الجديدة أن يتحقق من كل الصفات الأساسية فى فتاة تعرف عليها وأعجبته للوهلة الأولى ، ولكنها تقيم فى المعادى أو البساتين أو الدراسة أو شبرا .

وهذه معضلة بلاشك لمن يحاول أن يتقن البحث ، ويحسن الإختيار ، وهذا مايدعو بعض العائلات إلى أن تحتاط لنفسها من مغبة الخوض فى بحار بعيدة فتؤثر السلامة وتجبر أولادها أو تعرض عليهم بإلحاح الزواج من إحدى القريبات ، رغم أنهم فى قرارة أنفسهم ربما لايشجعون زواج الأقارب لما فيه من الضرر .

وفى شأن زواج الأقارب يقول رسولنا الكريم « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا » أى هزيلا . . وهزال الولد نتيجة ضعف الشهوة ، لأن قوتها مبعثها قوة الحس بالنظر واللمس، والنظر إلى الغريبة ولمسها هو الذى يقوى الحس ويستفز الأعصاب ويثير الرغبة لأنها جديدة ومجهولة .

ألا ترى إلى نوع من الرجال المتزوجين وقد ذاق طعم المرأة وقضم

لحمها ينبهر إذا رأى فى الطريق فخذا عاريا ، أو كتفا مكشوفا ، وكأنه لم يسمع به من قبل . . هذا هو سر الجديد الغريب الذى تنبعث به الشهوة .

وهناك متاعب جمة قد تنجم عن زواج الأقارب ، والآباء لهم فى هذا النوع من الزواج تجارب تعسة وإلا ما قالوا فى الأمثال : « إن كان لك قريب لا تناسبه ولا تشاركه » .

وأقبح ما يهدد زيجة الأقارب هو نوع العلاقة بين الزوج وزوجته وبينهما وبين الأسرة الكبرى ، وخاصة إذا كانا من القرابة القريبة . . فالزوج مثلا لايستطيع أن ينطلق بحريته فى بحث موقف يخصه ويصدر فيه قرارا ، فقد يصطدم هذا القرار مع أفكار ومصالح أهل الزوجة وهم أهله . . الأمر الذى ينعكس عليهما معا ، وإذا أخطأت الزوجة لايستطيع أن يعاقبها بما يليق بخطأها ، فقد يغضب العم أو الخال أو أبنائهما .

وكثيرا ما يحتمل فى زوجته عيوبا قد تظهر فيها نتيجة طيبته وخجله من أهلها والمفروض ألاَّ يخجل الرجل على الإطلاق من الإقدام على سلوك معين يرى فيه صلاح بيته بلا جور ولا غدر أو طيش .

ومع ذلك يلجأ البعض إلى الأقارب ليختار من بينهم زوجته ، لأنه يعرف تاريخهم وطباعهم وسلوك أبنائهم ، وهذا يسهل المهمة المشكوك فى نجاحها ومنهم من يفضل مصاهرة الأصدقاء أو أهل الحى . . وهذا حسن لأنه يجمع المزايا العديدة ، وأولها المعرفة الكاملة بالأسرة مع تجاوز عيوب قرابة الدم والعشم .

ولقد تنبه المصرى القديم لخطر الاختيار المجهول سواء فى المكان أو

فى الصفات فقال يحذر ولده « احذر المرأة الغريبة المجهولة ، لاتوجه إليها لحاظك ، ولا تتعرف عليها ، إنها بحر لجى ملىء بالأمواج والتيارات . . إن كل امرأة من هذا النوع تغريك بالكشف عن مفاتنها وتلقى عليك شباكها ، فلا تستمع إليها ولا تستجيب لها ، فما أشدها خطيئة تستحق الموت إذا استجاب لها الرجل » .

الحب والـــــزواج :

أدى الإختلاط بين الجنسين فى كل مراحل التعليم وفى مختلف مجالات الحياة العملية إلى أن يكون اللقاء مباشرا بينهما ، والحوار متصلا لاينقطع فى كل الشئون ، وتقهقر رأى بعض الآباء إلى درجة ثانية أو ثالثة .

وفى أغلب الأحوال أصبحنا نلاحظ أن الشاب يمضى إلى أهله وبصحبته فتاته التى اختارها ، يرجوهم الموافقة عليها وقبولها زوجة له ، وقد يفضى إليهم قبلها برغبته فى الزواج ، فتتهلل وجوههم بهذا النبأ الذى ينتظرونه ويتمنون قدومه قبل أن تغيب شمسهم .

يفكرون فى هذا اليوم طويلا ليشاركوا فيه بكل ذرة من أعصابهم وبكل قرش من أموالهم . . لابد أن يختاروا لولدهم أجمل الجميلات وأغناهن وأطيبهن أصلا وعنصرا . . ويعدون العدة كى يدوروا كلهم على البيوت الكبيرة والمحترمة ، يدقون أبوابها ليخطبوا لولدهم الحبيب . . زرْعهم الذى رووه بدمائهم ونور عيونهم . . ويؤكدون أن التى تليق به لابد أن تكون أمهر البنات وأكثرهن طاعة وخصوبة . . حتى تكون مصدر السعادة له والهناء ، وهكذا يطمئنون عليه . . يسلمونه لها فتحفظه وترعاه وتجلب له البنين ويصبحون أسرة جديدة . . والحمد لله على الرحلة الطويلة التى أوشكت على الإكتمال .

لكن سرعان ما يقول لهم : لاتتعبوا أنفسكم . . لقد اخترتها بالفعل فيسألون عنها ، وعن أهلها وشكلها وعن . . وعن . . فيخبرهم بأحوالها أو يدعوها للقائهم . . أو . . حسبها يتفقون . . وقبل لقائها تضطرب قلوبهم خشية ألاَّ تكون كما تمنوا ثم تراها عيونهم وقد تعجبهم . . وقد لاتعجبهم . . والمسألة أذواق ولكنها خبرة أيضا . . وحتى لو أعجبتهم لايبارحهم الأسى لأنهم كانوا يودون المشاركة فى الاختيار . . فى السؤال عنها وعن أهلها . . فى فحصها . . أولاد هذه الأيام لايعرفون شيئا عن هذه الأمور . . وتشعر الأم بالذات بأنها لم تقم بدورها الذى استعدت له والذى تتمناه لأعز الناس . . لأن زوجته سوف تكون كل شئ . . هى أهم ما فى البيت . . الأم تعلم ذلـك . . جربتـه واطمـأنت إلى خطورته . . حولها يدور الرجل ، لكنها الهيكل الأساسى لكل بيت . . وهل هناك بيت بلا امرأة حتى لو كان به الرجل والأولاد .

إن ما يزعـج الأهـل لهذا السلوك المستشرى من الشباب - وهو أمر طبيعى يتناسب مع ظروف العصر - ليس فقط لأنه يودى بهم ويقلل من شأنهم ويجعلهم آخر من يعلمون بأخبار أولادهم وخاصة فى هذا القرار المصيرى ، ولكنهم منـزعجـون لإدراكهم التام أن أولادهم لن يحسنوا الإختيار وسـوف ترضيهم القشـور ولن ينفـذوا إلى اللباب وقد يغلبهم الزيف ويغرهم المظهر ، والآباء بحكم تجربتهم يعلمون أن المرأة بالذات ولهذا أسباب كثيرة - فوق جوهرها قشور وقشور . وليس هذا رأى الرجال المجـربين فقط ولكنه رأى الأمهات والنساء أيضا ، وهن لايبخلن على أبنائهن به حتى ولو كان ضد بنات جنسهن ، فالإبن عند الأم أغلى من الروح ومن الحياة .

إذن فالبـوابـة الأولى للزواج هى الحب . . ويجب أن نتـوقف عنـد حكايته بعض الوقت .

الرجل والمـرأة . . والحب :

فى البداية يتعين الإشارة إلى مسألة جديرة بالاعتبار فى منطلق الفتاة نحو الحب ومنطلق الفتى . فالفتاة بشكل فطرى لاتنظر إلى الفتى إلا على أنه زوج . . كل الرجال الذين تفكر فيهم ، تفكر فيهم على أنهم أزواج . . سواء كانت لاتزال طالبة بالجامعة أو تعمل فى هيئة حكومية أو شركة .

مادامـت قد نضـجـت ، استعــدت لرحلة البحث عن شريك ، وبعضهن ينصرفن إلى الدرجات العليا من العلم ، لكنهن قلة . . وإذا اقـتـحـم حياتهـن شاب ذو مميزات خطيرة ، تخلت عن العلم والعلماء وانصرفت إليه . . لأن الحب - كما سبق القول - هو حياة المرأة ومجدها وسعادتها ولحظته الصادقة فى نظرها لاتقدر بثمن .

هى إذن لاتفكر فى الرجل إلا بوصفه زوج المستقبل . . وهذا راجع للرغبة فى ممارسة الحب فى إطار شرعى . . ولا أتصور فتاة على الأقل فى بلدنا تريد حبا منطلقا بوهيميا بلا أساس . أو مجرد علاقة - مهما كانت قوتهـا - بينهـا وبينـه بدون إطـار شرعى . . إنها تطمـع فى إطار معلن مصحوب بالضجة والصخب والإبتسام والدفوف ثم شقة وحياة مشتركة واضحة ثم أمومة وذرية وحب وحنان وأولاد كالزهور يلبسون أغلى الثياب ويتعلمـون فى أفضل المدارس ويحصلون على أعلى درجات العلم وهى وراءهم فى الصورة ثم . . ثم . .

هذه هى قضية المـرأة الأولى وهذا هو عالمها . . وهذه هى الصورة المحددة والمرسومة جيدا فى ذهن كل إمرأة . . ولا تكاد تختلف من امرأة إلى أخرى . . إنها تمثل دستور فطرى محفوظ فى أعماقها . . ملامح العالم

الجديد ومستقبل الحياة كله وضعه الله فى ضميرها وغرسه فى قلبها وفى روح روحها . . ودون أن تدرى تسعى إليه وتجرنا معها ووراءها . نحوه .

حلقات عجيبة وعبقرية فى هذا الكون ، كل حلقة منها تفضى إلى الحلقة التالية بغير تعنت ولا جبر ، وإنما بسلاسة ورضا ، بل بشوق ولهفة . . حتى يتكون العالم ويمضى على النحو المرسوم بجمال ورشاقة وقدرة بالغة على الخلق والإبداع والحفظ إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا . . ويرث الأرض ومن عليها .

الرجل يريد أن يحب فقط ، وهى تريد أن تبنى بيتا ، الرجل يريد أن يكون فى الشارع ، وهى تريده فى البيت . . هو يريد أن يفلت وهى تريد أن تحتوى . . هو يذهب للعمل من أجلها ، وهى تغذيه ، هو يكدح ويتعب وهى تتمنى حبه وراحته وتفكر فى ابتسامته كيف تطلعها على شفتيه . . وتمضى السنوات ويصبحا شخصا واحدا يجرى فى كل اتجاه كى يربى الأولاد ويقضى باقى أيامه . . يتأمل النبت الجديد والأمل يخامر القلوب أن تكون النهاية جميلة . . والختام مسكا .

إذا كانت المرأة لاتنظر للرجل إلا على أنه الزوج والشريك ، فإن الرجل لاينظر إليها إلا على أنها أنثى وما عدا ذلك لايخطر على باله . . لأنه بحكم تكوينه الفسيولوجى أو العضوى سريع الإحساس بالشهوة . . وشهوته تشير إلى المرأة التى تمثل الإجابة على كل أسئلته . . فهى الساقية لظمأه ، الناقعة لغلته . . المهدئة لسعار جسده . . المرأة لاتتمثل له إلا أنثى . . جسد فتان ومتعة ولذة مع عذوبة ورقة ودنيا غير الدنيا . . يجب أن يتوجه نحوها . . ليته يتحدث إليها وتتحدث إليه ، وينظر طويلا فى عينيها ويلمس يدها ويشم أنفاسها ويعطر بها قلبه .

ينظر الرجل إليها باعتبارها حبيبة ، لا باعتبارها زوجة ، وكثيرا ما تتأخر مصارحته لها بالرغبة فى الزواج إلى أن تضطر أحيانا لطلبها منه بعد عشرات اللقاءات أو توحى له بذلك . . فيتنبه إلى شىء لم يكن قد خطر على باله . وحينئذ ربما يحس ـ حسب ظروفه ـ أنه دلف إلى منطقة وعرة ، أو غابة كثيفة من الأشجار لايبدو من خلالها طريق . . فيتلفت حواليه ولا ينبس بجواب . . الزواج ! . . آه الزواج . .

كان يريد أن يسبح فى الحب فقط دون أعباء ، كما ينزل إلى البحر ويخوض فى مياهه دون أن يخشى الغرق ، ودون أن تختطفه عروسة البحر .

ولعل الفارق الواضح بين نظرة كل منهما للآخر فى البداية وربما بعد ذلك أيضا هى أكثر ما يهدد الحب ويهدد الزواج أيضا ، لأن العلاقة تصبح بين طرفين أحدهما يعلم كل شىء ويحسب ويعد الشراك ويعرف هدفه تماما ويسعى نحوه والآخر ماض خلف البسمة والرقة ، مجذوب ومستسلم وفرحان باللعبة الجميلة بعد أن جذبته نظراتها وسحرته لمسة يدها . . إما إذا حدث وقبلها فلن ينام الليل أسابيع حتى يطلبها للزواج كى يجمعهما بيت واحد ، على أمل أن تتاح الفرصة كاملة لينال ما يشاء من هذا الجسد الريان . . فالرجل إذن يفكر فى المرأة بالإشتهاء لقرب شهوته وحضورها وبعد عاطفته نسبيا ، ويسعى من ناحيته لامتلاك عواطفها وارضاء عواطفه وشهوته التى تتعجل حظها وتلح عليه . . أما هى فإنها تفكر فيه بالحب والرغبة فى القرب لأنها جاهزة القلب للحنان والعطف والإحتواء . . ولا يمنعها هذا من تقييمه وتحديد قدراته وكما يقولون : المرأة تنظر إلى الرجل من رأسه إلى أخمص قدميه لتعرف ماذا يلبس من الثياب ، والرجل ينظر إلى المرأة من رأسها إلى أخمص قدميها ليعرف ماذا تحت الثياب .

انها تخطط للزواج والبيت والعلاقة الدائمة والحب . . هو يعد لليوم والغد وهى تعد للمستقبل . . هو ينظر تحت قدميه وهى تتطلع إلى أبعد مدى . . هو يريد أن يأكل سندوتش ، وهى تريد أن تطهو طعاما جيدا ، ثم تجلس على السفرة لتأكل على مهل وتتذوق ، ثم تزدرد وتهضم وتنام النوم الهادىء المطمئن وهذا ما يحدث أيضا بعد الزواج فى أشكال مختلفة .

وليس بالمستطاع دعوة الشاب إلى ضبط شهوته ، لأن ذلك ضد طبيعة الخلق ، ولكننا لا نقدر على منع أنفسنا من تحذيره من خطر الإندفاع بسرعة للإرتباط بفتاة عاطفيا دون روية أو درس ، والذى ينكر أن هناك إغراءات كثيرا ما تدفع الشاب إلى هذه الخطوات المتعجلة مكابر ، لأنها حقيقة ولابد من الاعتراف بها وبسيطرتها أحيانا على قلوب وعقول الشباب . . ولكن لو وضع كل شاب نصب عينيه ان اندفاعه فى علاقة وجدانية سوف ينتهى به حتما إلى نهاية محددة وواحدة هى الزواج ، ربما أعاد النظر فى سيل الإندفاعات التى ينجرف فيها هو وغيره بلا تدبر وباستهتار أحيانا ، أملا فى أن تكون مجرد علاقة ، مدعيا أو متوهما أنه قادر على حماية نفسه من نتائجها .

صديقى الشــــاب :

قد يجذبك شكلها الجميل فتدق أوتاد قلبك عندها ، وتمضى خلف جمالها ، وتفرح هى لأن السنارة غمزت . . وتتأنى عليك وأنت تشتعل فتهدىء هى النار ، وأنت تنضج ثم تسحبك وتحسب أنت أنك الذى تسحبها وتمضى أمامك إلى عرينها ، فتفاجأ سيادتك بعد أن اكتوى قلبك وأعلن حبك فى كل مكان ولدى كل الزملاء ، وأصبحت ملامح وجهك

مرآة للجميع يعرفون منها حالتك العاطفية ، أنك يجب أن تتزوجها وليس لك أن تفعل غير هذا . . لأنك محاصر بها وبالناس ثم تكتشف أنها ليست إلا مارأيت مجرد فتاة جميلة ، وماعدا ذلك منهار . . منهار .

ليس أمامك ياصديقى ـ لأنك رجل ـ إلا أن تتقدم على استحياء وإن كان فى عناء إلى أهلك ترجوهم أن يخطبوها لك . . وإذا اعترضوا أصررت وهددت . . فإما أن يرضخوا ويخضعوا لسيف الأبناء الذين لايدرون كم هو قاطع ، وإما أن يرفضوا ويتنكروا ولا يعبأوا بصراخ عواطفهم من أجلك ، ومع ذلك فصعب عليك أن ترد فتاتك خائبة . . ولا تسمح لنفسك بالتخلى عنها حتى لو تخلى عنك أهلك ، بل تقبل أنت أن تترك أهلك والحسرة تأكل أحشاءهم وتتسلل إلى فتاتك لتكمل ما بدأت .

لا أظن أن هذا الإندفاع ولا أقول الإختيار . . لأن الإختيار الحقيقى هنا كان من طرف واحد هو الفتاه . . نعم كانت هى التى تختار ولكن أوعزت إليك أن تمسك بعجلة القيادة حتى تبدو كأنك أنت الذى تختار وتحدد المصير وتصدر القرار وترغمها على قبولك ، وترغم أهلك على الموافقة أو تتخذ موقفا حاسما منهم . . الخ . . لا أظن أن هذا اللون من الإندفاع يمكن أن يتناسب مع الحرية المتاحة فى مجتمعنا ، وكثرة الاختلاط بين الأجناس ، ولجوءنا فى كل حياتنا إلى المنهج العلمى الذى ساد وتسلل إلى كل أعمالنا وشئوننا .

أصبحت هذه الطريقة بالية وذات ضرر بالغ ، والأزمات النفسية المترتبة عليها عديدة ، أما المشاكل الإجتماعية والعلل التى تصيب علاقاتنا وتدمرها فهى بلا حصر وبلا تحديد ولا علاج ، لأنها من

الأمـراض الخبيثـة وليتهـا تنتهى بمـوت صاحبهـا كالسرطان مثلا . . أبدا . . إنما تمتد عبر الأبناء إلى الأحفاد . .

والـرجـل هنا هو المُدَان وحده والمتهم . . ودعوتنا له بضرورة النظر للمرأة على أنها زوجة ، مساعدة له على حسن الاختيار ودقة الحكم وهى أيضا حث على الفضيلة وتحريض على ترك اللعب بالنساء ، فربما تنقلب الصـورة لتصبـح لعبـا بالـرجـال . . وحين يهجم الفراش على النار ، لايطفىء النار ولكنه يحترق وتبقى النار متألقة .

وقد يقول قائل : إن الفتى لايستطيع التحكم فى قلبه ولا يملك أن يحدد مسار عواطفه وأهوائه ، ونحن لاننكر هذا الرأى ولا نرده ، ولكننا نخشى عليه من الإنـدفاع إلى درجة يتقلص العقل معها ويتوقف عن العمل ، وتتولى عواطفه المهمة كلها وتصبح المشاعر هى المسيطرة والغالبة .

وقد يجهل بعض الشباب أن الفتاة مهما قلَّت خبرتها بالحياة لن تسلم قلبها بسهولة لمن لم تتيقن من أنه أنسب الأزواج لها . . إن الساحة متاحة أمـامهـا وعامرة بالرجال ، وهى قادرة على اختيار من تشاء أو أفضل ممن تشـاء . . وانـدفاع زميل ما فى اتجاهها لن يثنيها عن عزمها ولن يلغى خططها وبكاؤه بين يديها لتهتم به لن يقربها منه ، على العكس سوف يزداد بعـدهـا عنـه ، لأنـه يتحطم أمامها على أول صخرة وضعتها فى طريقه ، ولن يرقق قلبها تذلله لها وسؤاله الملهوف عنها لأنها تبحث عن الزوج الذى يصلح أولا كى تحبه ثم هى قادرة على أن تجعله يحبها مهما كانت مكانته وللمرأة فى هذا السبيل الصعب نتائج طيبـــة .

ومن هنا يتعين على الشاب أن يتقدم ببطء ويتلمس طريقه بحذر ، ويجمـع المـلاحـظات ولا يفكـر فيهـا طويلا ، وكما يقولون « خيرها فى

غيرهـا » ، وعليه أن يؤمن بالنصيب . . ويقصـد العامة بالنصيب أى التوفيق الذى يحدث يوما ما بإرادة الله . . والزواج بالذات كما يقولون فعلا قسمة ونصيب . . صحيح كل شىء قسمة ونصيب ولكن لو تأملنا الزواج كحدث أساسى فى بناء العالم وبقاء النوع واستمرار الحياة يدهشنا قيامه على الجمع بين أرواح متآلفة ومنسجمة ، حتى لو لم تكن كذلك فى بداية حياتها بفعل اختلاف البيئة والمرعى الذى جاء منه كل منهما .

والأغرب أنهما لن يأتلفا ويتحابا إذا كانا من نوعين مختلفين مهما جمعتهما الأيام وقربت بينهما المناسبات السعيدة والذرية الصالحة . . تلحظ أنهما كالماء والـزيت لايلتقيان وإن تعاملا باحترام وأدب . . وربما يستخدم الزوج القسوة ليفرض إرادته على زوجته ، وربما تطيعه وتحافظ عليه ، ولكنها تظل فى عالم وهو فى عالم . . وربما يهواها الزوج ويحنو عليها ويغدق ويتلطف معها ويلبى طلباتها ولا يفكر فى يوم أن يجرحها ، لكنها تظل غير مقتنعة أنها له . .

ويدهش البعض حين يسمع عن زوجة طلبت الطلاق من زوجها بعد عشرين سنة ، وأعرف من طلبت الطلاق بعد ربع قرن . . وأعرف من لم تطلب الطلاق ولكنها طلبت إلى زوجها ألاَّ يقربها وألاَّ يأكل من طعامها وألاَّ . . وألاَّ . .

وفى البـداية لايعـرف الشـاب أن هذه الفتـاة له ، ولا تعـرف هى كذلك ، ولكن كل فتى يسعى بحثا عن فتاته وهى كذلك . . لكن الفتاه قبله تستـطيع أن تدرك إذا كان هذا الذى عرفته وتقرب إليها وجمعتهما جلسة واحدة يمكن أن يتزوجها أم لا . . هل هو نصيبها أم لا

الفتاة تدرك ذلك أولا . . وحين يتقدم لها شاب يخطبها وتحسب وضعه

وظروفه وامكانياته وتجده من حيث الشكل مناسبا تقبل ، ثم تبدأ قرون استشعارها فى العمل لتقييم روحه وتحديد شخصيته ومدى مناسبته لها وتكون هى الأسرع فى الوصول إلى النتيجة . . فإما أن تعلن رفضها أو تتقدم نحوه باهتمام ورغبـــة .

وتطول المدة أو تقصر حسب ذكاء ودهاء الرجل ، فقد يتسبب هذا فى تأخير قرار المرأة ، وحسب إلهامها . . فقد لاتواتيها القدرة على الحكم على نوعيته وإمكان عشرته بعد جلسات قليلة ، وقد تصبر وتتمهل طويلا حتى لاترده فتسىء إليه وإليها . . وكل شىء نصيب . . لابد إذن أن نحـترم مسألة النصيب . . لأن رفض فتاه ما لك ليس غطرسة منها أو تعاليا أو أنك لاتصلح أو شهادة بفشلك ، فقد يكون شيئا من هذا فيك وعليك ، ولكن أيضا قد يكون السبب هو عدم توافق النغمة النفسية التى تعزفها روحك ونغمتها . . وهذا ليس عيبا فيها ولا فيك ، وإنما هى إلهامات إلهية يُمكّن الله بها عبده من وضع يده على الروح المناسبة له . . ولكـل روح أليف . . تركيبته النفسية والعصبية تتطابق مع تركيبته أو يمكن أن تتطابق . . وهذه أمور يجب أن ننظر إليها بقدر غير قليل من الاحـترام والتقـدير . . لأن النـاس كموديلات السيارات ولا يصح أن تشترى من محل قطع غيار سيارات فوانيس مرسيدس وتركبها لسيارتك الفيات ، أو فتيس بيجو لسيارة أوبل . . كل شىء له تركيبته الخاصة . . كل ما هنالك اننا بشر ونحتاج إلى تجارب سرية وصامتة وهادئة وناعمة للوصـول إلى النغمـة المنـاسبة والإيقاع الملائم حتى يتولد شرار الحب والعشرة المستقرة التى أحيانا ما تدوم ٧٠ سنة أو أكثر .

وعلى الرجل أن يتأثر بأساليب الصيادين ، لأن العلاقة بين الرجل والمرأة فيها شىء من هذا . . الصياد قد يعد لفريسته أسبوعا أو أسابيع

ثم يقع عليها فى دقيقة وربما فى ثانية ، وأنت قد تعد لها شهورا ثم تخطبها فى نصف ساعة .

وإذا لاحظت - عزيزى القارىء - غير المتزوج طبعا فى نفسك إعجابا بفتاة ، عليك أن تؤجل توجهك صوبها حتى تطمئن على عناصر أخرى كأخلاقها ووضعها الإجتماعى ، ثم تتقدم ببطء كالقطار الذى يخرج من المحطة . . ويجب ألا تصب فى حجرها كل ما فى قلبك ، لأن ذلك كفيل بإنهاء العرض الممتع قبل أن يبدأ .

إحرص على أن يكون كل شىء بقدر ، وبجرعات منظمة ومتوالية مصحوبة بدراسة النتائج ، ولابد أن تكون لخطواتك نحوها آثار ملموسة . . تغييرات فى موقفها . . لابد أن تلحظ تقدما ما نحوك ولو بطىء . . أما إذا تبينت أنك تحرث فى البحر وأنك تلقى بأعز ثمارك فى صحراء لا أمل فى أن تصبح خضراء يوما ، ما فأوقف عملياتك وأعد النظر . . واهملها فترة حتى تكشف عن بعض ما عندها . فليس مقبولا أن تظل على عطائك وحماسك . . تلقى البذور فى الأرض البور ولا نتيجة .

والتأنى ودرس المواقف ثم التوقف بعد النتائج السلبية . . سلوك مطلوب لأنك مهما عبرت عن عواطفك ، فى حين أنها لاتلتفت إليك ولا تعبأ بك ومضيت أنت فى الدوران حولها لن تجبرها على النظر إليك والإنصات لعباراتك أو مبادلتك الحب . . بل إنها إذا لمست تقدمك المهين لن تحترمك وسوف تسأمك وتكرهك وتكون قد فقدتها تماما للأبد .

فتماسك والزم دارك وكبرياءك مادمت لم تجد ما يشجعك . . وادرس الأرض جيدا فى كل حالة قبل أن تبنى عليها . . حتى لاينهار بناؤك . . وليس عليك إلا أن تطمئن على وضعها الإجتماعى وأخلاقها ، وكما يقول

المثل الشعبى « إسأل قبل ما تناسب يبان لك الردى من المناسب » وفى مثل آخر . « قبل ما تناسب حاسب » وبعد ذلك يقبل كل شىء التفاوض والتقدير .

* * *

أهميـة الحب للزواج . . ولكن :

الحب قوة روحية تغـرى بالتآلف والإنسجام وتحث على التفاهم وتروض الإنسان على الصبر والتسامح . . ونحن يسعدنا أن ندعو لزواج يأتى فى أعقاب مرحلة سبقته طالت أو قصرت من الحب ، ولسنا نعنى به تلك العاطفة الهوجاء التى تندفع بلا وعى ولا حساب ، ولكنه الحب الذى تتكفل العاطفة والعقل معا برسم سياسته وتحديد ملامحه ودق علامات طريقه ، ولا يؤيد أحد أبدا ذلك الحب المنطلق بلا حدود . . الحب الذى يسافر بعشاقه إلى عوالم أخرى لايملكون فيها السيطرة على أنفسهم ولا مصائرهم . . عوالم لايقيمون فيها وزنا لقيمة ولا اعتبارا لرأى ولا يعترفون بخبرة الكبار ولا يعبأون بظروف الحياة والمستقبل .

لازواج فعلا بغير حب . . حب تصحبه معرفة وفهم وتقييم ، ومن هنا تتجلى قيمة الخطبة كفترة مناسبة وشرعية ليدرس الفتى فتاته وتدرسه تعامله ويعاملها ، وهما يتحركان من منطلق واحد ، انه يريدها زوجة وهى تريده زوجا أو على وجه الدقة تبحث مدى إمكانية أن يكون لها زوجا وهما ينظران بمنظار واحد ، ويسعيان صوب هدف مشترك ومصلحة مشتركة هى تأسيس بيت جميل وحياة سعيدة .

فما العيب إذن أن يختار الفتى بكل حرية فتاة معينة من عائلة يرتضيها ويتأكد من سلامة وضعها الإجتماعى ، ويسأل عن الفتاة ويطمئن

لأخلاقها ثم يخطبها ، وخلال فترة الخطبة تبحث العواطف عن مجراها ، وتسـأل القلوب عن غذائهـا ، فإذا أراد الله تفاهما ومحبة اتفقا ومضت الأمور إلى نهايتها ، وإذا لاقدر الله لم يحدث الرضا ولا القبول - وكثيرا ما يحدث هذا بلا غضب ولا تربص أو حقد - إذا حدث هذا فليمض كل منهما إلى طريقه . . ويبحث عن نصفه الآخر الذى كتب له ، والزواج قسمه ونصيب .

الفصل الرابع
الخطْبة

قبل الخطبـــــة :

نصل بالحب أو بغير الحب إلى فترة الخطبة وبهذه المناسبة فأنا ضد عقد القران فى البداية ، مهما كانت درجة القرابة والمعرفة ، لابد من فترة خطبة ولو قصيرة . . لابد من اكتشاف كل الأطراف لبعضها ، فليس الزواج مجرد ارتباط يجمع فتى بفتاه ولكنه ارتباط بين أسرتين ، بل بين أسرات عديدة .

وملحوظة أخيرة قبل عقد النية على خطبة الفتاة . . ملحوظة لا أهمس بها فى أذن الشاب ولكنى أصرخ فى أذنه وأذن أهله جميعا حتى لو أصيبوا بالصمم . . استعدوا للمتاعب إذا كانت الفتاة المراد خطبتها من بيت تحكمه الأم ، لا الأب فأسوأ البيوت وأكثرها ازعاجا بيوت تعيش فيها الأسرة كاملة العدد ، الأب موجود والأم موجودة ، ولكنها هى التى تقود مصائر أهل البيت وتدير حياتهم . . وهى صاحبة القرار . . أمرها هى الذى ينفذ ، إذا وافقت تم كل شىء ، وإذا رفضت لن يتم شىء ولو انطبقت السماء على الأرض .

إن التعامل مع الشيطان أرحم وأيسر بمراحل من التعامل مع زوجة تحكم البيت رغم وجود زوجها ، ولكنه وديع مسلوب الإرادة ، وليس إلا كما مهملا . . ولاتتورع زوجة من هذا النوع عن أن تقول له أمامكم :

- قوم يافلان شوف الشاى أتأخر ليه أو
- ما تقوم تنادى لبنتـــك
- بتلبس
- اســـتعجلها
- حاضــــــر

وينسحب إلى الداخل لتنفيذ الأوامر ويا ويله لو وعدك عزيزى الشاب بشىء لم تعـرفـه زوجتـه - سوف يُضربْ فى هذه الليلة ويهـان وأنت السبب . . لأنـك تحدثت إليه ولم تتحـدث إليها ، ثم انك أخبرتها بما اتفقتما عليه . ستقول لك بكل بساطة - روح له بقى خليه يعمل اللى أنت عاوزه . أو ربما تتركك ولا تعيرك أى التفات . . وتصور أنها تستطيع أن تتفق معك على شىء ثم تنكره فى اليوم التالى ، ماذا بيدك أن تفعل . . وحتى أبوك نفسه ماذا يستطيع أن يفعل . . لا شىء . .

الشىء الغريب حقا أن السيدة إذا كانت أرملة ، تكون ألطف جدا وأكثر أدبا ورقة وترحيبا وتساهلا . . ولا ترد كلمة لابنها أو ابنتها وإذا وعدت بشىء نفذته بحذافيره وزادت عليه بقدر ما تسمح الإمكانيات .

ونعـود فنؤكـد من جديد تفضيلنـا للخطبة بلا عقد لاتاحة الفرصة لدراسة المسألة من أوجهها المختلفة ، وهى فرصة طيبة أيضا أمام الفتاة وأهلها لدراسة الخطيب ، فقد تكون ابنتهم قد وقعت عن غير خبرة أو فهم فى علاقة حميمة مع شاب لاتعرف ما يكفى عن أخلاقه . . وتكون عاطفة الحب قد حجبت بصرها عن حقيقة شخصيته ونزعاته ، وليس مستبعدا أن يكون فاسد الميول خرب الذمة معدوم الضمير .

فتـــــرة الخطبـة :

قبل أن تدق باب بيتها لتطلب يدها ، لاشك أنك عرفت عنها قدرا لا بأس به سواء بالعـلاقـة الشخصية المباشرة أو بالسؤال عن أخلاقها واطمئنانك لجمالها ووضعها الإجتماعى المناسب .

والفترة السابقة على الخطبة فترة مهمة وخطيرة قبل أن تخطو قدماك إلى بيوت النـاس ، والبيوت أسرار والدخول له دلالة وله صدى . . وهذه الفترة تعد مرحلة أولى فى الطريق نحو الزواج .

أمـا المـرحلة الثانية فهى الخطبة ، وهى ليست فترة للحب والهدايا والتنزه فقط ، وهى ليست فترة إعداد لعش الزوجية وبيت المستقبل الذى سيضمهـما فقط وهـذه كلها إجراءات تنفيذية ، ولكن الحقيقة أن فترة الخـطبـة فرصـة علنية ورسمية وشرعية للبحث والتدقيق ، فإذا كانت المرحلة الأولى استشعار من بعد وسؤال هامس وتقصى صامت ، ومتابعة هادئة وخفية ، فإن المرحلة الثانية بحث مباشر ومحاولة اكتشاف وحفر فى الأعماق لدراسة التربة والتعرف على طبقاتها ، وهى أفضل فرصة وآخر فرصـة لكى يتحقق من ملامح الصورة ، ويتزود بقدر كبير من المعرفة يمكنه من تصور مدى سعادته فى المستقبل .

وفـترة الخـطبـة دائـما مفيدة ، وخـاصـة لشخص نجـا من الغـرق « لشـوشتـه » فى الحب والغرام . . لأن الشخص الذى تشغله عواطفه سيفاجأ فيما بعد بمواقف غريبة وصفات يعتقد هو أنها مختلفة عما رأى وسمع أو عما تصور . . لأنه كان مرتحلا إلى بلاد الرومانسية والشعر ولم يكلف خاطـره أن يلمس الـواقع مرة واحدة،أما الشخص المتزن الذى يستعد للزواج بكل وعى وتحفز ، فهو قادر على التقاط الكلمات والمواقف

وتحليلها ودرسها والخروج بنتائج تفيده فى التقييم وإصدار الأحكام وبالتالى الوصول إلى قرار حاسم . . بالفرار أو بالإستمرار .

ومن المتعين ألا ننظر للزواج على أنه تجربة تحتمل الصواب والخطأ « ياراحت ياجت » فإذا كانت فعلى بركة الله ، وإذا كانت خطأ . . ندمنا عليها وأقدمنا على غيرها .

لم يعد هذا ممكنا لانفسيا ولا ماديا . . خاصة فى هذا الزمان ، لأن التجربة الخطأ مريرة والعمر قصير . . من هنا يتعين النظر إلى فترة الخطبة بمنظور جديد ، وبعيون مفتوحة وعقل واع وتركيز . .

وخلال فترة الخطبة نتوقف أمام عدد من المحطات الرئيسية فى الطريق لمزيد من الحفر والإستكشاف ، لأن الصفات التى طالبنا بضرورة توفرها فى الزوج والزوجة صفات عامة وتحتاج إلى تفصيل من خلال بعض السلوكيات :

١ ــ الخطبة للتعارف :

يلزم للخطيب الذى لم يعرف خطيبته من قبل أن يتعرف على ميولها وأحاسيسها وطباعها وعليها أن تعرف نوازعه وشخصيته ومزاجه النفسى ، وهو أمر ضرورى حرص عليه الدين والمجتمع ولازال الناس يحرصون على هذا ، بهدف إزالة الفروق التى تفصل بينهما إذ كل منهما عاش وتربى وتطبع فى مناخ مختلف وظروف اجتماعية واقتصادية مختلفة .

يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام :

« إذا وقع فى نفس أحد المؤمنين من امرأة أن ينظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينهما حتى يأتلف قلباهما » . ويؤدم بينهما أى أن يتيح الأهل لهما

كل ما يقرب بينهما ويؤلف انطلاقا من قاعدة انسانية شهيرة تصنف الأرواح ، هذا لهذه وهذه لذاك . . أو كما يقول خاتم المرسلين :
« الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

وإذا اجتمعت فى خطبة روح خبيثة وروح طيبة تجدهما كالماء والزيت على خلاف دائم ، قد يكون هادئا أو مستورا ، ولكنه قائم إلى أن ينفض بالطلاق ، أو يرضى الطيب بما يقاسيه من العذاب ، وقد يتدخل ملك الموت ليفصل بينهما بصورة من الصور ، لكن اجتماع روح طيبة مع مثلها معناه التوفيق والهناء .

وفى القرآن الكريم نص صريح فى هذا المعنى وهو الذى ورد بسورة النور : « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » .

وعثور الشاب على أمنيته فى شخص خطيبته واحساسه بحاجته إليها وراحته معها ، ورغبته فى التحدث أو الاستماع إليها بداية مشجعة لمزيد من المشاعر الطيبة ، ويصبح الطريق جاهزا ليدخل الحب القلوب ويسكن فيها ويعمرها بالعواطف والتسامح والتضحية والوفاء .

أما اللذان يفشلان فى تحقيق التقارب بسبب التنافر بين روحيهما والإختلاف الدائم فى أفكارهما ، فهو دليل مبكر على أن المستقبل سيحمل لهما كثيرا من الصراع والنزاع ومشكلات بلا نهاية .

وهناك مسألة يجب على الخطيب أو الزوج بعد ذلك أن يتنبه لها لأنها على قدر كبير من الأهمية ، ولم يسبق التعرض لها ، بل يصعب وضع اليد عليها وتحديدُ ظروفها . . هذه المسألة التى أرجو أن نتوقف عندها هى أن كثرة من النساء يكشفن عن عواطفهن فى حالة الرضا والحب ، ولكنهن

لايكشفن عن الكره أو عدم الرضا ، ومنهن من تنظر للقضية من منظور الخجـل وربـما الشفقة على الزوج أو الخطيب من الرفض وقد تؤثر ألا تتعجل قرارها فتصبر وتنتهى فترة الخطبة وهى ساكتة لاتعلق على شىء ولا تقول كلمة . . كل من حولها فرحان ، فما بالها لاتفرح مثلهم . . ثمة شىء غامض فى نفسهـا يحدثها بأنها لاتمضى فى الطريق الصحيح . . فلمن تتـوجـه بحـديثهـا . . إلى أمها أو أبيها . . سيقولان لها : ده عريسك طيب ومحترم . . هو فيه زيـه . .

ــ صحيح هو طيب ومحترم وكريم .

ولكن ثمة شىء فى نفسها . . شىء لاتستطيع أن تصرح به أو تعبر عنه ، قد يكون سبب ذلك غموض هذا الشعور وضبابيته وقد تكون مجرد هواجس وخواطر تهزها هزا وتردها عن الاندفاع نحوه وربما لأنها واقعة تحت ضغط أسرة تقليدية محافظة بعنف . . تصر على زواجها من هذا الشخص بالـذات وهى لاتجـد فى أسرتها من تحكى له وتكشف له عما يؤرقها . . وقد يكون الخجل هو الذى يقبض لسانها عن البوح وقد تخشى الشك فيها وفى سلوكها والظن بأن شخصا ما آخر غير هذا الرجل يشغل بالهـا ويحتل حبه كل قلبها . . وربما . . وربما ، فتضطر للموافقة على الزواج وتدهمها الحياة وتنجب ، والشعور الغريب يتزايد وينتشر فى كل أعصابها وكل أيامها ، إلى أن يخرج هذا العفريت من القمقم وتنفذ له أوامره بعد سنوات طويلة من الصمت والسكون . . وتبدأ فى الإعلان عن رغبته ، وهى رفض الزوج والتخلى عن خدمته والإمتناع عن أى حوار معـه رغم وجـود أبنـاء كبـار . . عاصفـة هوجـاء تزلزل الزوج وتودى بحياتها . . والنتيجة غير مضمونة ولا مأمونة بالمرة .

فكيف تعرف أنها تحبك أو ترضى بك وتعترف على الأقل بينها وبين

فؤاد قنديل

كيف تختار زوجتك

نظرات فى المرأة والزواج

نفسها أنك أنت المناسب لها وهى مستعدة أن تكمل معك مشوار الحياة وتؤسس معك شركة العمر . . إننا نيسر المهمة بدعوتك للنظر وتأمل السطور التاليــة :

إنها لاشك تحبك :

١ ــ إذا كانت تحب سيرتك وتحب من يحبك .
٢ ــ لو لم تغضب إذا خالفتها فى الرأى .
٣ ــ إذا كانت تتأثر بغضبك أو حزنك .
٤ ــ أن تحاول دائما خلق موضوعات لتحدثك .
٥ ــ أن تستشيرك كلما حاولت الإقدام على فعل أو اتخاذ قرار .
٦ ــ أن تبتهج لهديتك مهما كانت بسيطة .
٧ ــ أن تحاول التخفيف عنك أو التبرع بالقيام ببعض مهامك .
٨ ــ أن يقلقها غيابــك .
٩ ــ أن تحرص على عمل كل ما يرضيك ولا تكرر عملا يغضبك .
١٠ ــ ألا تزعجها قلة دخلــك .
١١ ــ أن تتحمل الأذى فى سبيلك .
١٢ ــ أن تحاول مشاركتك أفكارك واهتماماتك والدخول فى عالمك والاهتمـام بهواياتك وعملـك .
١٣ ــ ألا تشعر بالخجل من عملـك .
١٤ ــ أن تحرص دائما على إبلاغك بالأخبار السارة بنفسها .

المطلوب أن تطمئن تماما إلى رضاها ليس فقط بالكلام ولكن يجب أن يظهر ذلك فى سلوكها . . وإذا لم تعبأ بهذه النقطة فلا تدهش بعد ذلك إذا قالت لك بعد عشرين سنة : أريدك أن تطلقنى . . وربما لاتقول لك ولكنها سوف تهرب . . ليس شرطا أن يكون هروبها مع آخر : . ولكن

عفريتها يصر أن تتركك . . فتتركك . . إلى أين ؟ . . لاتدرى المهم انهن نادرا ما يصرحن . . نادرا ما يصرحن .

فإذا لم تكن أنت فتاها فانسحب بهدوء . . ولا تلمها أو تحكم بالجور عليها ولا تتصور أنك ناقص أو عاجز ، ولكنها أرواح وأحيانا عفاريت .

ويستلزم نجاح فترة الخطبة سواء بالسلب أو بالايجاب أن تتم لقاءات مباشرة بين الشاب وخطيبته سواء فى الحدائق والأماكن العامة أو فى بيتها ومع أهلها ، ولقد أصبح كثير من الأهل من الوعى بقيمة الخطبة ونفعها يشجعون هذه اللقاءات تحت أعينهم ، وكل المطلوب أن يحاول كل منهما فهم الآخر . . لا مجرد الإستمتاع بالفرصة التى جمعتهما ، واغتنامها فى الثرثرة الفارغة والدعابة وعبث المراهقين .

لابد أن ينتهز الخطيب فترة الخطبة كفرصة يتعرف من خلالها على مدى توفر عناصر التكافؤ والتوافق بينهما والتناسب فى الشخصية والعمر وأيضا فى الطموح والمزاج والثقافــة .

ولا يحسبن السمكـرى أو الميكـانيكى أو التـاجر البسيط إذا خطب متعلمة أو حتى خريجة الجامعة انه غير كفء لها ، فليس لنوع عمله دخل فى القضية . . المشكلة دائـما تكمن فى شخصيته ، ويجب أن يعلم أنه سيحـظى بقلبهـا وحياتهـا نفسها إذا كان عف اللسان ، سليم العقل والوجدان ، حسن السمعة والمظهر ، كريما واثقا بنفسه ومن شرف ماله بعيدا تماما عن تناول الكحوليات وتعاطى المخـــدرات .

٢ ــ القبـــــول :

فى مقدمة مهامك أيها الصديق التى يتعين عليك أن تنهض بأعبائها التأكد من جو الرضا والحب بين أهلك وبينها ، ثم بين أهلك وأهلها . .

لابد أن تطمئن إلى أن جميع الأطراف تشملهم مظلة التفاهم والقبول . . لأن القبول وحسن العلاقة بين الكل مدعاة لحسن الظن ، والرضا بكل ما يصدر عن الآخرين ولو عن غير قصد وهو ما يحفظ للثوب سلامته من الشوائب والبقع .

وفى السنوات الأولى من حياة الزوج والزوجة يكون الغضب للأهل سريعا والإنتصار الدائم لهم - حتى مع أخطائهم - غالب بحكم رابطة الدم وطول العشرة وهو ما يهدد العلاقة من أساسها وينذر بانهيار المشروع ، والنسب كما يقولون « كاللبن بيروق ويتعكر » .

ومن الطبيعى ألاّ ينشأ فى البداية خلاف بينك وبين أهلها إذا كنت أنت الذى تقدمت لهم بعد علاقة عاطفية مع ابنتهم ، تمكن فيها الحب من قلبك إذن فأنت حريص عليها ، ومهما حدث من أهلها فلن تغضب احتراما لمشاعر الحبيبة .

وتحدث المتاعب فى البداية عادة إذا لم يكن أهل الزوج راضين عن الزوجة أو الخطيبة ، وقبولهم بها صورى ، لمجرد ارضاء ولدهم الذى لايريد لها بديلا . . وفى هذه الحالة يجب أن يبذل كل جهده بالإشتراك مع خطيبته لإرضاء أهله ويجب عليه دفعها للتودد لهم بكافة الوسائل حتى ينجحا فى اقناعهم بها ، وجذبهم إليها ، ولا بد أن يعملا على تطوير هذه العلاقة مع أهلها أيضا . . تحقيقا لمبدأ رضا كل الأطراف وقبولهم بوصفه الشرعية الإجتماعية والتربة المناسبة للنبت الجديد .

على أن رفض الخطيبة التودد لأهل خطيبها وارضائهم مؤشر هام ليس له غير معنى واحد هو أنها لاتحترمه ولا يعنيها رضـــاؤه .

أما الرجل فيتعين أن يبدى كل الإحترام لعائلتها ، بل وإبداء قدر من

المجاملة والترحيب القلبى بمصاهرتهم ، لأن الشائع ـ ولله فى ذلك حكمة ـ أن أهل العروس يحبون زوج ابنتهم على عكس ما يقال أحيانا . . كل ما هنالك أنهم وخاصة النساء ـ البنت وامها ـ يحبونه كريما ذا مظهر حسن . . وما عدا ذلك فالمسألة تقبل الحوار والتنازل .

وتقول الحماة فى العادة « ان زوج البنية أغلى من عينيه » .

ويسعدها أن يحب ابنتها ويحمل لها الهدايا بين الحين والآخر ، وهى ذات دور كبير فى التوفيق والتقريب بينهما ودفعها نحوه . . ويقول المثل : إن أم البنت تقول لابنتها : قربى من جوزك الدنيا برد ، وتقول لها حماتها . . ابعدى عن ابنى . . الدنيا حر .

٣ ـ قوة الشخصية :

الشخصية فى نظر علماء النفس هى مجموعة صفات جسدية ونفسية تعمل فى انسجام فى حفر طريق للتعامل مع البيئة . . وتعنى فى أوضاعنا الإجتماعية وخاصة الزواج القوامة . . فالمفروض أن الرجل له الولاية على المرأة والقوامة . والدين الإسلامى مصدر التشريع فى بلادنا جعل للرجال مكانة تفضل مكانة النساء جزاء ما ألقى عليهم من التبعات والمسئوليات ، ولما لهم من دور فى الجهاد فى سبيل الله والوطن وفى الإنفاق على ذويهم والدفاع عنهم والسهر عليهم . . تلك الأمور التى تتطلب من التضحيات ما لا قبل للمرأة به . .

يقول الله فى كتابه العزيز : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » ولابد أن يكون الرجل فى بيته سيدا وإلا كان عبدا ، وقال تعالى « وألفيا سيدها لدى الباب » [1] فالله خلق الرجل

---

(١) سورة يوسف ٢٥ .

وخلق المرأة ويعرف قدر كل منهما . . وقد اقتضت حكمته أن يكون الرجل قيما وسيدا والآية الكريمة من سورة النساء توضح ذلك بما لايدع مجالا للجدل « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من أموالهم » .

وبالتالى فالدرجة التى نالها الزوج ليست لمجرد أنه رجل ، فالمفروض أنه يتمتع بالقوة والشخصية والقدرة على الإنفاق والسلوك القويم والعقل السليم . وبمقتضى هذه القوامة التى أوضحها القرآن حقٌ للرجال دائما أن يتولوا القيادة والإمامة وحديث رسول الله فى هذه المسألة قاطع إذ يقول « ما أفلح قوم وَلوُّا أمرهم امرأة » .

وحديث المصطفى يتسق تماما مع الآية الكريمة من سورة البقرة التى تعتبر شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد :

« واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

وهذه الأراء كلها لاتدين المرأة أو تقلل من شأنها ، ولكنها تساعدنا على فهم المرأة التى خلقها الله على هذا النحو لتقوم بهذا الدور . . ولو أرادها لدور غير هذا لخلقها خلقا آخر . . لكنه أرادها مخلوقا رقيقا لطيفا ضعيفا ، يسكن إليها الرجل ويطمئن ، وقد أحسن شمس بن القيم رضى الله عنه بالتنبيه على « أن قدر الله لايناقض شرع الله » .

وأتصور أنها يجب أن تكون « إن شرع الله لايناقض قدر الله » أى أن الشريعة ليس ضمن أحكامها ما يتعارض مع خصائص الطبيعة البشرية فهو الذى خلقنا ويعلم قدراتنا ونزعاتنا ، ولذا فقد وضع لنا مايناسبنا من

النواميس ، وعلينا احترامها لأنها « الكتالوج » المصاحب لنا والمناسب لأجهزتنا .

وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن يرضى الجميع بما خلق الله ، وهذا ما يجب أن يفهمه الرجل ويحرص بناء عليه على تولى زمام حياته ، وأن يأخذ على عاتقه مسئولية إصدار أهم القرارات التى تحتاجها أسرته ، بدءا من فترة الخطبة ، وليس كما يعتقد البعض بعد أن تدخل بيته . صحيح أن الوضع بعد الزواج يختلف ولكن الشخصية يجب أن تكون واضحة .

إن المرأة - بالفطرة - يسعدها الرجل الذى يتسم بقوة الشخصية ووضوح الرأى والرؤية ، وحتى لو قاومته فى الظاهر ، فهى تعجب به فى الباطن ، ويزداد تقديرها له كلما سيطر على نفسه أولا وعليها ، وحين تعارضه تحاول فى الحقيقة التعرف على مدى صلابته واكتشاف معدنه .

وقوة الشخصية لاتعنى التشبث الأعمى بالرأى ، ولا تعنى الغلظة والقسوة حتى تعرف أنه جش ، وأن له عينا حمراء ترعب وتُرهب . . قوة الشخصية هى احترام الرجل لنفسه وللمبادىء والقيم بشكل حاسم وغير متردد ، فالكذب مرفوض مرفوض ، لأن الكذاب خائف وضعيف . . وقوة الشخصية تعنى احترام العمل جدا وعدم التفريط فى حقوقه مهما كان المانع أو السبب ، وتعنى مواجهة المشكلات وعدم تأجيلها أو الفرار منها . . وتعنى رفض الظلم والذل أيضا والغيرة على الحق وتوقير الكبير والرحمة بالصغير . . وتعنى عدم التجبر بالمال أو التعالى ولا الخجل من الفقر . . باختصار قوة الشخصية هى الرجولة ، وان كانت مكوناتها ليست ملكا خالصا لارائنا وأفكارنا أو رغبتنا لأن هناك عوامل وراثية واجتماعية تؤثر فيها بالسلب والإيجاب . . ودورنا لفت النظر إلى أهميتها فى القيادة . .

عزيزى الشـــــاب :

قد تقـترح خطيبتـك اقتراحا لايعجبك ، فتستولى عليك الحيرة بين إرضائها ورفض اقتراحها لما سيتسبب فيه من الضرر ، وتفضى بك الحيرة إلى الـتردد واضـطراب الفكر . . ويكشف لها هذا الغمامة التى تشوب سماءك ، ومرة على مرة تدرك ضعف شخصيتك وعدم وضوح الأفكار فى رأسـك ، وعـدم قدرتـك على اتخـاذ قرار يدل على تمييزك الـدقيق بين الأشياء . . وهذا أخطر ما يؤثر فى علاقتكم بالسلب .

والفتاة مهما كانت غير مجربة تعلم جيدا أن المهم فى الرجل حضور ذهنه وقوة قراره فى الوقت المناسب ، وهذه هى الحماية التى تنتظرها . . لايسعدها أن يسألها عن رأيها . . وإذا قدمته له واسترشد به ، وثبتت بعد ذلك سخافة رأيها أنحى عليها باللائمة ، ووصمها بالخيبة . . كل هذا فى الحقيقـة ضده وهـذا هو الفشل بعينه ، وهذا هو ما يحملها على أن تتحرك للإستيلاء على الحكم وتولى القيادة ولذلك قال الرسول الكريم : تعس عبد الزوجة . . فهو عبدها حين يطيعها فى كل ما تهوى وتأمر بلا تدبر أو عقل .

وللإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه قول مأثور هو : أيها الناس لاتطيعوا النساء ولا تدعوهن يدبرون أمر عيش ، وقال الحسن : والله ما أصبح رجـل يطيع امـرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار . . أما المثل الشعبى فإنه يسرف قليلا فى التصوير حتى يرتدع المنصوح فيقول فى هذا الخصوص بلغة هابطة محذرة : مرة ابن مرة اللى يطاوع مرة.

وتقول صفية هانم زغلول وهى زوجة سعد باشا زغلول وابنة مصطفى فهمى باشا الذى كان رئيسا لوزراء مصر :

« قالت أمى فى ليلة زفـافى إلى سعـد . . سيأتى بالعـربـة ويأخذك

فتركبين معه . . وعند باب بيته سينزل ويقول لك : اتفضلى ياهانم فلا تنزلى وراءه ، ثم يكررها مرة ثانية . . فلا تنزلى ، وفى المرة الثالثة انزلى وادخلى منزلك » . . وعند منزل سعد ، قال لى : اتفضلى ياهانم فلم أنزل وانتظرته أن يكررها ، فإذا به قد تقدم إلى منزله وتركنى ، فأسرعت أجرى فى أثره لألحق به » .

وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج ، وكانت المرأة تقول لإبنتها اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه ، إنزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه ، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه فإن سكت فاجعلى الأكاف [1] على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك .

ولا يعنى هذا أن يعتاد الرجل رفض كل ما تعرضه المرأة أو تقترحه فهذا هو الغباء بعينه ، لأن كل إنسان له رأى . . وهذا الرأى قابل للمناقشة أيا كان مصدره . امرأة كان أو رجلا أو طفلا . . المهم أن يكون الرجل واعيا تماما بظروفه مدركا حجم امكانياته ثم يدرس الرأى فإذا كان صالحا أخذ به وإذا لم يكن كذلك تغاضى عنه وكأنه لم يسمعه .

والمرأة بحكم تكوينها المماثل للرجل يمكن أن تكون قائدة ويمكن أن تكون عالمة ويمكن أن تكون بطلة ملاكمة ويمكن أن تكون إمراة فضاء أو عاملة فى منجم . . العبرة بالممارسة والتدريب والمشاركة . . والزوج الذى لم يتعود أخذ رأى زوجته فى أى موقف ، ولم يختبر فكرها فى لحظات عديدة ، إنما يقتل فيها نواة الفكر والفهم بل إنه يخلق منها كائنا أقل كثيرا من الإنسان الآلى . . مجرد جهاز يتحرك بالطلب ولا يستطيع التصرف لأن أدوات الفكر علتها الأتربة وأصبحت من طول الخمول عاطلة . .

---

(١) البردعة .

ومثل هذا الرجل يعانى كثيرا إذا دهمه موقف عنيف أو تورط فى أمر من الأمور ، فلن يجد من زوجته عقلا واعيا ، ولن يجد لديها أى ضوء يفضى به إلى الحل . . سوف يجدها تحت قدميه تنظر إليه فى بلاهة ، تنتظر اشارته وتترقب أوامره لتنفذها . . ومثل هذه الأسرة أسرة عرجاء . . لها ساق واحدة . . وكان عليها أن تستفيد من المرأة وهى ما عليه من حب جارف لأسرتها وطاقة للعمل والعطاء قوية واستعداد كبير للتضحية وقدر وفير من الصبر والجلد . . فإذا تدرب عقل المرأة على العمل أسهم بالكثير وتألق وقت الحاجة وأفاد فى كل حين ، وأهم من هذا كله أنه ينعكس على الأبناء . . تلك القطط الصغيرة التى تشرب الحب مع اللبن ، وياليتها تشرب أيضا الذكاء وحسن التصرف وكيفية إعمال العقل فى كل الأمور .

وكما سبق القول فالمرأة خامة جاهزة لكل تشكيل ، ويمكن بها بلوغ درجة عالية من التفوق والإبداع . .

وغاية المطلوب لدفع المرأة لأن تكون عضوا نافعا وبناء وذا ثقل ووزن عدة أمور هى :

١ ــ تدريب ومشاركة ولو بدون نتائج ، ولو مجرد حوار ثم تجارب .

٢ ــ ثقة وحب .

٣ ــ لجام . . أى ضبط لـ ١ ، ٢ - وإذا لم تستطع الضبط والسيطرة فلا داعى لتدريبها ولا مشاركتها لأنها ستلتهمك تدريجيا ودون أن تدرى .

تاريخنا عامر بسير العظيمات والمجاهدات والعالمات والقائدات . . نماذج باهرة . . تدربت واستعدت ، ولما أتيحت الفرصة . . تولت وسارت ونجحت . . لكنها كما قلنا ليست القاعدة والأحوط ألَّا يستسلم

لرأيهن الـرجال ، لأن فى ذلك شبهة عدم إيمان وعدم احترام لما أمر به الخالق الذى يعلم طبيعة كل ما خلق وهو العليم الخبير .

والملاحظة الغريبة التى أزعم أنى خرجت بها من تأملى الطويل فى طبـاع النساء والرجال ، أن النساء من حيث الشخصية والطباع يدرن جميعا فى منطقة واحدة ، تتقارب بينهن الصفات والميول ، ونسبة الخلاف بينهن قليلة جدا ، على عكس ما يتصـــور البعض ، فى حين أن هذه الفروق عالية جدا عند الرجال ، وتشكيلة الاختلافات فى الرجال عديدة ومتنـوعـة وكلها أمور مكتسبة ، وكلما سيطرت المدنية والتكنولوجيا كلما تنوعت التشكيلة وتعددت الفروق سواء بين النساء أو الرجال . . والأمر يختلف فى كل مجتمـــع عن الآخر . . فلا زالت المرأة المصرية أشرف وأحسن ألف مرة من امرأة غربية . . أوربية أو أمريكية ، صحيح أن هناك صفات عصرية جديدة اكتسبتها المرأة الغربية ، لكن ظروف الوطن العربى لاتزال تحفظ على المرأة العربية بعض الصفات الهامة والمريحة والتى تجعلها قابلة للتشكيل ، وغير متأثرة تأثرا بالغا بعيوب الحضارة الحديثة إلا طبعا فى بعض الأسر التى لحقت بالركب الغربى ولا بد لها من معالجة خاصة ومعاملة متميزة تتناسب وطباعها .

على أن الذى نود أن نؤكد عليه هو أنه لاتوجد امرأة قوية ولكن يوجد رجـــل ضعيف ، وضعف بعض الـــرجـال هو الـذى يسمـح بظهـور الاختلافات والفروق بين النساء ، ولو كان كل الرجال أقوياء لكانت كل النساء حمام وديع وملائكة ونسمات رقيقة . . ولا أظن أن فلسفة الخلق استهدفت ذلك .

وأعـرف فتاة طيبة ونبيلة وحنون من أسرة طيبة ومتدينة . . خطبتها

لصديق طيب وغاية فى الأدب واللين والهدوء والخجل . . فما الذى جرى ؟ إنهما كل يوم فى نكد وصراع وغضب وتهديد يومى بالطلاق ، لولا كثرة المصلحين من أهله وأهلها . . وهم فى غاية العجب من أمر هذين المخلوقين اللذين كانا آية فى الطيبة والذوق وحلاوة اللسان . . فأصبحا مصدرا للإزعاج . . أصبحت الفتاة سليطة اللسان وأصبح الرجل الذى لم يدفع الذبابة عن وجهه يوما يضرب زوجته ، والأهل يضربون كفا بكف .

المسألة بسيطة ولا تدعو للدهشة . . والخطأ فى نظرى عند صديقى . . الذى مضى يعاملها فى كل الظروف برقة وأدب . . إذا جاء إلى بيته فلم يجدها لم يغضب ، إذا أعطاها نقودا للطعام واشترت بها حذاء لايثور . . ثم . . ثم . . ولما فاض به الكيل وبدأ يلومها ثارت عليه وسبته فثار . . وضربها ، فلعنت أجداده لأنها لم تتعود منه ولا من أهلها ذلك . . وبدأ يتحرش بها ويترصدها وهى بعد سنتين مع معاملته الطيبة تعودت واستقرت نفسيتها على ذلك . . حتى بدأت هى تقترح عليه ألاّ يبيت عندهم أخوه أو أمه ، أو تقترح عليه أن يفعل كذا أو كيت فيقبل . . واليوم يعترض..هذا لايكون . . لابد أن ترده إلى عقله وهدوءه . . وهو لم يعد يحتمل . . كان يجب أن يكون ذلك من أول يوم ، وبهدوء تام وثقة بالنفس مع تناسب اللوم والغضب مع كل موقف . . ووضع نظام ثابت ومعقول للحياة التى ستجمعهما بدءا من أيام الخطوبة .

والأنسب فى رأينا أن يتصرف الزوج كأنه أخ أكبر أو أب قوى رحيم فى آن معا ، هو صاحب القرار والمصير ، وهو الذى يواجه المشكلات بالحكمة والصبر ، فإذا تخلّى الزوج عن هذه المهمة وهذه المكانة ، واكتفى

بأن يكون مجرد حبيب أو أخ صغير ، فلا أمل له فى سعادة أو راحة ، وسوف تفتقد زوجته السعادة - مهما كانت تحبه - وتحرم من الهناء ، وسوف يكون خضوعه مدمرا لها وحينئذ عليه أن يحمل ذنبها ووزر شقائها . . وياليتـه يكون كالشجرة أصلها فى الأرض ، وبعض فروعها فى السماء وفروع منها قريبة يمكن للمرأة أن تلتقط منها الثمر ولكنها لاتستطيع أن تقتلعها من جذورها . . تستطيع أن تجذبها ولكن لاتثنيها . وهذه هى العلاقة المثلى وهذه هى الصورة الدالة على قوة الشخصيـــة .

٤ ــ الثقافة المنــــزلية :

ستتـولى الحبيبة أو الخطيبة مسئولية فتح البيت ورعاية الزوج وتلبية حاجات الأبناء ، ويلزمها لذلك أن تكون على دراية بما يتطلبه هذا الكيان الكبير . . وقد لوحظ فى السنوات الأخيرة اهتمام الأسرة بتعليم ابنتها حتى الجامعة ، وربما تجاوزتها إلى الماجستير والدكتوراه ، دون أن يخطر ببالها أن هذا كله لايغنى ولا يفيد ساعة يعود الزوج من عمله جوعانا يمنى نفسه بغذاء منزلى شهى ونظيف .

إن فلاحة بسيطة تجيد الطهى وترعى الأبناء فى هذه اللحظة أفضل مائة مرة من أربع سيدات حاملات للدكتوراه أو ملكات الجمال فى العالم .

وعـدم تدريب البنت على الأعـمال المنـزلية وممـارسة الواجبات التى يتطلبها فتح بيت مسئولية الأب والأم معا ، وتخليهما عن هذه المسئولية جنـاية فى حق ابنتهما وزوجها وأبنائهما من بعد . . لأن العروس سوف تفرح بالزواج فى البداية ثم تنتقل إلى بيت الزوج وتفاجأ بأنها لاتستطيع

السيطرة تماما على أدوات المطبخ . . تحرق الأرز وتعجن له الميكرونة وتقدم له طعاما إما غير ناضج أو كله ملح أو . . أو .

فما الذى يمكن أن يفعله الزوج فى هذه الحالة ؟ . . هل يذهب ليأكل فى الشارع ؟ أم يذهب إلى أمه ؟ . . أم يصبر إلى أن تتحسن . . وهذا لن يحدث إلا إذا غضب وثار ، وربما لايغضب ولا يثور ، وبعد فترة ربما يجد الأفضل أن يطلقها ويرتاح . . وقد بالغت بعض النساء فى سوء فهم الرجل أو ربما عن تجربة قلن : إن أقصر طريق إلى قلب الرجل معدته . . وهى ليست الطريق إلى القلب إلا لدى المبطن النهم الذى لاهم له إلا طلب الطعام . . ولكن الطعام بالنسبة له وقوده الذى يسيره وبدونه لايستطيع أن ينطلق فى عمله .

وعلى أية حال إذا كان الأهل قد أهملوا ذلك الجانب الرئيسى من حياة العروسين فعليه أن ينبههم ولا حرج فى هذا . . إذ أن عددا غير قليل من الأمهات لايشغل بال الواحدة منهن إلا الإهتمام بثياب ابنتها وزينتها والحرص على عرضها فى أبهة على الضيوف إذا جاؤا والإكثار من الذهاب إلى النوادى وقبول الدعوات لحضور الأفراح وأعياد الميلاد وتكرار الزيارات لبعض العائلات حتى يتعرف الجميع على ابنتها الشيك الجميلة ، ويتوالى بعد ذلك الدق على الباب ويكثر الخطاب .

عليه إذن أن يلفت نظرهم لاستغلال فترة الخطوبة فى تدريبها واعتبارها دورة مكثفة ، تحاول خلالها الأم دفعها لممارسة كافة الأعمال المنزلية والإشراف عليها وارشادها بالنصح . . وأعلم مسبقا أن الشباب من العجلة بحيث لا يجد مبررا لهذه الدعوة أو ما يحثه على الاستجابة لها لأن رأسه منصرف إلى موضوعات أخرى ، ويطمئن باله بأن ذلك سوف

يحدث فيما بعد ، ولكنه بكل تأكيد لن يحدث وربما يكتفى بمساعدتها فى المطبخ ، ولكن ماذا يساوى صفر + صفر إلا صفرا كبيرا .

إن الزواج وفتح البيوت ليس لهوا ولعبا ، وتحقيق السعادة الزوجية المأمولة لايكون أبدا بالحب وحده ، أو بالمال الوفير أو التبحر فى العلم أو احتلال المراكز العليا فى الدولة . . السعادة الزوجية تبدأ من الوجبة الشهية والبيت المنظم النظيف ، كما تبدأ من الوجه الجميل والكلمة الطيبة .

السعادة الزوجية بسيطة للغاية وتوفيرها يحتاج إلى الفهم الدقيق لها . . ووضع اليد على مصدرها الرئيسى لا الحواشى .

إن الهم الذى يركب العرسان من طول التفكير فى الشقة وأكوام الأثاث بلا مبرر لأنه يدخل فى باب القشور ، أما اللب والأساس فهو الزوجان ذاتهما . . والزوجة بالذات يعنينا جميعا أن تكون مجهزة لتولى كل شئون البيت الداخلية . . وعلى الزوج المساهمة فى إعدادها لا بالثياب والزينة والذهب والشقة الفخمة ، ولكن بصقل شخصيتها وزيادة علومها فى التدبير المنزلى ، ولو استعانت بأهله حينا وبأهلها حينا آخر . . ولعل ذلك يتطلب أن يكون الشاب نفسه لديه بعض المعرفة عن هذه الأمور إبان حياته مع أهله أو فترة عزوبته ، ولا بأس أن يكون له بعض المحاولات فى هذا السبيل .

عليه أن يتأكد من ثقافتها المنزلية فى طهى الطعام وفى الحياكة إذا أمكن وفى إعداد التوابل والمخللات ، ولا بأس أن تكون ذات دراية بتربية الدواجن ولابد أن تجيد إعداد الحلوى والعصائر وأعمال التريكو والمفارش . . فليست الرياح دائما تجرى على ما تحب السفن وتهوى . .

وليس شرطا أن يخطب الغنية ثرى يوفر لها الخدم والحشم والطهاه ، ولن تحمل فى المعيشة عبئا أو يناط بها عمل فقد يتقدم شاب حديث التخرج يود أن يبدأ معها حياته ، وقد تحب فتى خالى الوفاض معدما . . ولن يملك الأهل له ردا ولن يستطيعوا صرفها عنه . . فكيف تمضى الحياة بهم وقد تعودت على تناول الفطور فى السرير ، أو ربما لم تتعود ولكنها كانت تأمل فى خطيب يحملها إلى طبقته العالية لمجرد أنها على حظ من الجمـال .

على الزوج إذن أن يطمئن على دراية زوجته ومهارتها فهى التى ستبقى لها وله . . وسحقا لها زوجة لاتستطيع حتى إطعام زوجها والقيام على شئونه وشئون أولادها . . ولا بأس عليها إذا كانت قد أهملت ذلك أن تتدرب وتستعد ، وتدريبها على يد أمها رحمة بها وتخفيفا على نفسيتها من محاولة تدريبها على يد حماتها فى بيت زوجها ، وساعتها ربما تكون موضع السخرية . .

ويكفينـا دلالـة على أهمية مانـدعـو إليه أن نقرأ إحصائيات الزواج والـطلاق لنعـرف أن أهم سبب لتعدد الزوجات أو الطلاق بعد عدم الإنجاب هو عدم القدرة على إدارة شئون المنزل وعجز الزوجة عن الوفاء بحاجات الزوج والأبناء .

لابد أن يدرك الشاب من الآن مايتهدد بيته ، وما يعكر صفوه ويجشمه فى المستقبل مالا طاقة له به . . عليه أن ينظر إلى هذه المسألة بأهم مما ينظر لعينى خطيبته وشعرها الطويل . . لأنها ـ لو يعلم ـ أهم من وقت يمضيه محاولا لمس يدها الرقيقة أو تقبيل خدها الأسيل . . وأمامه الوقت طويل والفرصة كافيةٌ ليتمعن كما يشاء . . وقد ألمحت الحكمة الشعبية إلى هذا المعنى بالمثل القائل :

« ما يعجبكش حمار الخد ياشارى من بره مزوق ومن جوه هباب عالى »
ولا يقصد فقط بالهباب العالى . . المظهر الداخلى ، وإنما يقصد به الجوهر بشكل عام وأهم ما فى الزوجة بعد حمار الخد أو حتى قبله أخلاقها وتدبيرها وعلمها المنزلى الذى كثيرا ما يكون موضع فخر الرجال .

وإذا كانت الأمثال الشعبية رمزت بالهباب العالى لهذا الخراب الداخلى فهى فى أمثال أخرى تعاملت مع عيوب المرأة بوضوح فقالت :

« اللى مراته خايبة وسخ وكمامه دايبة » أى أن خيبتها لن تقتصر عليها وحدها أو حتى على زوجها وهو فى بيته ، ولكنها ستصحبه إلى الخارج ليشهد الجميع على هذا الفشل والقصور متمثلا فى ملابســـه .

وقالت الأمثال أيضا « الشاطرة تقضى حاجتها والخايبة تنده جارتها » الخايبة تبحث عمن يساعدها ويرشدها لأنها اهتمت فقط بزينتها حتى تتزوج وبعد ذلك تتصور ويتصور أهلها أن هناك ألف حلال ، والحقيقة المرة أنه لايوجد ولا حل واحد إلا طلب النجدة من الجيران ، وما يكتنفه من الخجل وضياع الكرامة والمواقف التعسة فضلا عن الإحساس بالضآلة والهـــوان .

وأذكر أن صديقا لى كان فى كل مرة يزور فيها خطيبته يخرج بنتيجه جديدة وإضـافة يطمئن بها على النموذج الذى اختاره ، أو يطلب إلى زوجته أن تتنبه إلى ما لم يعجبه ، وهو لم يحاول أن يفرض على أسرتها نظامه « فكل دار ولها مدار ، وكل طاحونة ولها غيار » كما يقول المثل ، ولكن هناك الحد الأدنى من السلامة والصواب .

فى مرة قطع زر قميصه قبل أن يدخل فى موضع من صدره لابد أن تراه خطيبته ، ليدرس مدى حماسها إلى إصلاحه أم أنها ستكتفى بلفت نظره للزر المقطوع ومداعبته بما يدل على برودها واستهتارها

وكـان كثـيرا ما يرفض الخـروج معهـا إلى الشارع والأماكن الخلوية والعامة مؤثرا أن تكون أغلب لقاءاته فى بيتهم ، وكان يكشف عن رأيه حين أسـألـه فيقول أنا أريد زوجة وليس مجرد حبيبة . . وكما أن هناك لقاءات تجمعنا يتعرف فيها كل طرف على الآخر ويحاول الإطمئنان إلى مشاعره فلابد أن تكون هناك لقاءات بناءة ونافعـة .

وكان يقبل أحيانا دعوتهم له لتناول الطعام ، ومن خلال المائدة يعرف الكثير مما لايكشفه المظهر البراق والجلوس المحاصر فى الصالون .

وكنت أدهش لصديقى حين يقول إنه حرص عدة مرات على دخول دورة المياه والمـطبخ ، ليطمئن على مدى النظافة السائدة فى كل أركان المعهد الذى ستخرج منه زوجته ، ويضيف بأنه كان يفضل مراقبة أمها والحديث إليها ومعرفة سلوكياتها فى المواقف المختلفة فهى المعلم الأول لزوجته ، ولابد أن تطلع لأمهـا .

ويسرع المثل الشعبى كعادته بالقفز إلى الذاكرة ليقول بحكمة ريفية « بنت الحرّاتة تطلع درّاســة » .

فترة الخـطوبـة إذن فترة عمـل ودراسة وتحليل وليست أجازة صيفية وليست من أجل الحب فقط والاستمتاع باللقاءات الخارجية والنزهات والملاعبة والمداعبة على أساس أن اليوم خمر وغدا أمر ، لكننا نكون بذلك قد نسينا أن الغد ابن اليوم ، واليوم ابن الأمس .

وكم من الخلافات تحدث بين الفتى وأهل عروسه لأنهم يرفضون طلبه الوحيد الذى يلح فيه وهو الخروج معها . . لأنه مسكين لايرى فى الزوجة غير ذلـك . . ولعلنى أسرفت فى التنبيه على هذا الجـانب من حياتهـا وحياتنا ، ولكنى أستعين هنا بقول جدنا حكيم الدولة الحديثة « أنى »

يقول فى احدى وصاياه : « واجعل عينيك تلاحظها فى صمت ، لكى يتيسر لك معرفة كل ما هو حسن من أعمالها » .

وسوف تفيدنا كثيرا قراءة نص النصيحة التى توجهت بها زوجة عارف الشيبانى لابنتها فى ليلة زفافها ، وكان عارف رجلا من أبرز رجال قبيلته ، أما زوجته فكانت سيدة فاضلة وحكيمة وذات شأن فى قومها ، وهى تبدى فى رسالتها لابنتها خبرة عميقة بالنفس الإنسانية عامة وبالرجل على وجه الخصوص ، وتعى تماما خطورة العلاقة التى تجمعه بالمرأة ، وحساسيتها الشديدة وتأثرها بالنظرة البسيطة والموقف الصغير ، ونصائحها لابنتها تدل على ذكاء بالغ ونفس قوية داهية لأنها تعلم جيدا أن ابنتها لو طبقت كل ما جاء بوصاياها لتمكنت من السيطرة على زوجها وإيقاعه فى حبها وارتباطه بها ارتباطا وثيقا لا تؤثر فيه أعتى الظروف .

وبهذه المناسبة فتجدر الإشارة إلى أن الأم العاقلة لايسعدها أن تجد ابنتها مسيطرة على زوجها ، مالكة لزمام الأمور فى يدها ، ولكن الذى يبهجها حقا أن تجد ابنتها سعيدة هانئة تحب زوجها ويحبها .

تقول زوجـــة عارف :

« أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للفاضل ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، ولكنت أغنى الناس عنه . ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال أى بنية إنك فارقت بيتك الذى فيه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت ، إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمة يكون لك عبدا ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا (وهى فى الحقيقة خمس ، لأن كل خصلتين يمكن جمعهما فى واحدة) .

– أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة .

– وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينيه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

– وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

– وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ورعاية جسمه وعياله .

– وأما التاسعة والعاشرة فالحرص على شرفه فى حضوره وغيبته .

واعلمى أنك لاتبلغين ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت ، والله يخير لك » .

وأتصور أن معرفة الشباب بهذه النصائح الغالية ربما يفيد فى تعميق نظرتهم إلى المرأة وفهمهم لطبيعة الدور المنوط بها تجاههم ، والصفات التى يتعين توافرها فيهن . . وهذه الصفات التى كشفتها أم العروس جديرة بأن يتفقدها الرجال فيمن يعنيهم أمرهن .

ويعنينا أيضا أن نفكر فى امرأة الشيبانى ونصائحها ، فهى حماة . . حماة تفهم معنى المسئولية الملقاة على عاتقها وتحس بابنتها وتفكر فيما ينفعها إلى نهاية العمر . . وهذه هى الحماة . . أما الحماة التى نسمع عنها والتى لاتنصح ابنتها بشىء إلا قولها « قصقصى طيرك ليلوف بغيرك » ، و « اربطيه بالخلفة » « ويا مآمنه للرجال ، يامآمنه للمية فى الغربال » و . . و . . فهذه الأم لاتتمتع إلا بضيق الأفق والتخلف . . وللأسف فإن الأخيرة متقدمة فى ركب المدنية والحضارة الحديثة وتجاوزت الأولى بأكثر من ألف عام . . فهل نحن فى الحقيقة نتقدم أم نتقهقر !

٥ ــ الغيـــرة :

الغـيرة ترتبط بالنفس البشرية ارتبـاطـا وثيقـا ، بل هى من أبـرز سماتهـا . . ولهـا مع الإنسان منذ بدء التاريخ قصص ومواقف . . بل صراعات وحروب .

والغـيرة خصلة معقـدة أو إن شئت الـدقـة . . صفة مركبة بعضها طبيعى . . أى جزء أساسى فى تكوين الشخص ذاته وبعضها مكتسب دخيل بحسب الظروف والمواقف . . وهى مركبة لأنها تنطوى على عدد من الصفـات الأخرى مثل الحمية الشديدة وعدم الثقة بالنفس أحيانا والخوف فى أحيان كثيرة وسوء الظن أيضا والتشاؤم . . تأخذ الغيرة من هذا كله لتستفـز وتثـير كوامن المرأة أو الرجل . . وتستعد النفس دائما للشك فى الطرف الآخر ، والإستعداد فى كل لحظة للترقب والترصد . .

ولهذا تختلف درجة الغيرة من شخص إلى آخر حسب جبلته أو طبعه وحسب المواقف وحسب طبيعة وجبلة الشخص الآخر وسلوكه ، وأيا ما كانت درجتها فالمعقول منها مقبول ، بل محمود . . ومن لايغار شخص بارد بليد الحس ضعيف القلب .

وفى بلادنا الشرقية تعمل الغيرة فى النفوس بعنف لدى الكثيرين ، وهى بقدر مناسب لدى البعض ، وتحددها فى الغالب سلوك الأنثى ، وقد يحددها غيرة زائدة عند بعض الرجال تبلغ حد المرض .

والغيرة إما أن تكون على . . أو من . . فقد تكون غيرة على محبوب وقد تكون غيرة من منافس أو عدو . . ومثلها غيرة المرأة من المرأة .

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل ما حرم عليه » وهى غيرة الله من الأمور المنهى عنها

بما يعنى أنك استجبت للشيطان حين دعاك إليها ولم تلزم أمر الله وتتجنب ما نهى عنه وهى غيرة تنطوى على حب بالغ من الله لعبده واشفاقه عليه من الحرام وعاقبته .

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى جمع من أصحـــابه :

« رأيت ليلة أسرِىَ بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا القصر ، فقيل : لعمـر ، فأردت أن أنـظر إليهـا فذكرت غيرتك ياعمر » فبكى عمر وقال:أعليك أغار يارسول الله .

وللرسـول حديث يؤكد الغيرة ويحمدها ، يقول نبى الهدى : « إنى لغيور ، ما من امْرىء لايغار إلا منكوس القلب » وكان الحسن رضوان الله عليه يقول : « أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج فى الأسواق ! قبح الله من لايغار » .

والحسن فى هذا القول النبيل يدعو إلى رفض السماح للنساء بالنزول إلى الشوارع والمزاحمة فى الأسواق ، فيمسهن الرجال.وإذا كانت حياتنا اليوم لاتتحمل دعوة الحسن ، وعسير عليها الإستجابة لقوله ، فلا بأس من تخفيف نزولهن ، ويستطيع الرجل أن يقتطع من وقته ساعة يخوض فيها غمار الأسواق أو الأماكن المزدحمة ليجلب حاجة البيت ، ولا بأس عليها أن تفعل ذلك إذا كانت الفرصة متاحة والأسواق لاتكون مزدحمة فى كل الأوقات .

والخـروج الآن مبـاح للمرأة برضا زوجها أو والديها ، ولكن القعود أسلم ، أو على الأقـل يتعـين ألَّا تخرج إلا لما لاتملك منه مفرا . . أى للأمور الهامة ، فإن خروجها فى غير حاجة . . ضار بها وبمن يلقاها ،

لأنها حين تخرج فى غير حاجة ، أى أنها خالية مما يشغلها وينفعها ، فتكون كالقشة فى الريح عرضة لمن يصرفها ويدعوها أو يغازلها وقد يميل عليها ميلا ثقيلا ويلح فتضيق به . . واللوم على من خرجت من داره إذا كان زوجها أو أهلها ، ومن المروءة أن تمنع .

والإسلام يدعو الرجل إلى أن يحارب خروج المرأة بكل وسيلة ولا يدفعها إليه ولا حتى للصلاة ، قال صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها ، وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن الدار وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها « وفى هذا تحريض على الستر لأن المرأة عورة ، وقال النبى المعلم : المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان » . . بل إن صلوات الله عليه وسلامه يقول : للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوجة عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات » .

فالخروج إذن بلا مبرر سبيل المشاكل وإثارة المتاعب واستفزاز للرجل ذى الضمير الحى والنخوة . . وله الحق إذا غار على فتاته التى تغرم بالشارع وتولع بالزيارات ، وهى غيرة صحية . . يقول الرسول المصطفى : إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة ، والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة ، والاختيال الذى يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة ، والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل » .

فالغيرة من غير سبب ، والشك بدون مبرر ، والترصد الدائم بلا داع ولا دليل ليس غير سوء ظن ، وسوء الظن مرفوض . . قال تعالى فى سورة

الحجرات : « يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

ومما يزعج المرأة أن تظن بها السوء وهى ليست كذلك ، فذلك أدعى إلى أن تمقتك وأن ترفض لقاءك ، وأن تلوى قلبها بعيدا عنك مهما دخلت عليها بالهدايا وأسرفت فى النفقة . لأن قلب المرأة يعمل بأدوات خاصة به ولا يلتزم فى الغالب بشىء . . وهى لاتستطيع السيطرة عليه تماما فى حالة فراغه ولا تملك له توجيها أو ارشادا ، إلى أن يلتقط موجة من الموجات وتعجبه نغمة من النغمات فيبدأ فى الإنصات ويتلقى ما تبعثه من الألحان ، ويشرب ويتذوق ثم يهدأ ويحط ويدق أوتاده عند هذه الموجة أو هذه المحطة . عندئذ تستجيب المرأة لقلبها وتنفذ أوامره كأنه عفريت تلبسها وامتلكها . . وهى تثق به ثقة عمياء ولا تقبل من لايثق به وبها .

فالمرأة اللعوب لاتضيرها الغيرة ولا تثيرها ، لأنها تعرف أنها جديرة بها ، فسلوكها غير منتظم وقلبها بلا محطة وأصحابها عديدون . . ومن يعرفها لايملك إلا أن يغار . . فالغيرة هنا بسبب الريبة . . أما المرأة العفيفة فهى لاتقبلها أبدا وعلى الرجل إذا أدرك أن امرأته لم تعد له ، أن ينظم انسحابه ويعد تراجعا كريما لنفسه ، فلا أمل فى الغيرة والترصد والرقابة ، ولا أمل فى المحاولات العديدة لاستردادها . . لقد قررت أنه انتهى بالنسبة لها . . وعليه أن يعود من حيث أتى لأن قلب المرأة ليس ملكا لها ولا ملكا له . . وحين يرتبط قلبها بشخص - مهما كانت الظروف والأسباب - فلا يمكن لو انطبقت السماء على الأرض أن تتركه وربما تعلم بسوء المصير إذا مضت فى سبيلها ، ورغم ذلك تمضى . . فلا تحاول إصلاحها وارشادها فهى لن تسمع كلمة ولن تفهم إذا سمعت . . لقد

اختـارت وضبطت مفاتيحها على هذا الوضع ، فلا تحرص على إجراء تعديلات لأنها كالضلع إن قومّته كسـرته .

فتذكر ياصديقى أن الغيرة الشديدة وتوقع الخيانة من النساء سم ناقع يمضى فى كل علاقة فيخربها ، وأخطر مايسىء إلى المرأة أن تجد نفسها تحت رقابة دائمة وشك مقيم ، لأن فى ذلك اتهام لفضيلتها وبيان لعدم ثقتك بنفسك وقال الرسول « اتقوا بوائق الغيرة » أى عواقبها الوخيمة . . إذ الأصل فى طبيعة المرأة حرصها على طلب الحنان والحب ، وإذا أعطيتها ما تبغى تبعتك واحترمتك فى حضورك وغيابك حتى لو لم تأمرها بشىء ، وحتى لو لم تراقبهـا فى كل درب تمضى فيه أو بيت تدخله . . والغـيرة المنـاسبـة ، منـاخ طيب لنمو علاقة سوية وطبيعية لأنها تقوم على الثقة المتبادلة والإطمئنان إلى فضيلة الطرف الآخر وأخلاقه .

٦ ــ الزى والزينــــــــة :

أكثـر ما يسعـد المرأة مهما بلغ عمرها الثياب والعطور . . فبالثياب الجديدة تتيه وتباهى وبالعطر ينتشر أريجها ويُعْلم وجودها وقد قال الرسول فى ذلك : اطلعت فى الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت : أين النساء قيل : شغلهن الأحمران الذهب والزعفران أى الحلى ومصبغات الثياب .

وغـرام النسـاء بالـروائح بالذات قديم ، وهن يحرصن على النظافة والاستحمام كى تكون لهن رائحة طيبة . . وهن يعلمن جيدا أنها أثر من آثار الجمال ، ولها عمل فى نفوس الرجال ، وأكثر ما يزعج فى المرأة رائحة جسدها وعرقها .

والزى الذى ترتديه المرأة جزء من شخصيتها وكذلك زينتها . . ومرآة لروحها ورغباتها ونوازعها . . فهو يدل عليها ويصور جانبا أساسيا من

أعماقها ، فإما إنه ستر للعورة وجمال وأناقة ، وإما أنه إثارة وفتنة واستفزاز للرجال وحض على التأمل أو حث على الغزل .. يقول البشير النذير : ما تركت فتنة بعدى أشد من فتنة النساء على الرجال .

وقد سبق القول عند الحديث عن خلق المرأة بيان خطورة الثياب المكشوفة أو الضيقة فى الدعوة إلى الفجور والغواية وأمر ذلك وما يعقبه من نتائج معروف ومقدار المروءة والرجولة يظهر على النساء وأزيائهن .. فالفتاة التى تخوض فى الشوارع بزى عار تكشف عن ضعف دينها وغياب المروءة من بيتها ، فليس وراءها من يرشدها ويرعى سلوكها ويحميها من نفسها .. والمرأة كنفس الرجل لابد أن يروضها وإذا لم يفعل دفعته إلى مهاوى الرذيلة والضياع « قد أفلح من ذكاها وقد خاب من دساها » [1]

والرجل فى العادة لايرضيه أن يرى زوجته - إلا فى بيته - مكشوفة الصدر والظهر ، ولا يفخر بأزيائها العارية وهو بين الناس وفى الأماكن العامة ، ولابد أن عيون الرجال حين تتأملها أو تأكلها تزعجه وتثير غضبه .. لكن البعض وهم نوع خاص وطبقة معينة - تبهجهم نظرات الغير لنسائهم وتثلج صدورهم عبارات الإعجاب بالزى الراقى الذى ترتديه هذه المرأة أو تلك ..

فلتكن من أى طبقة ، ولتكن من أى نوع ، ولكن العاقبة جديرة بأن نفكر بها ونحسب لها الحسابات حتى لاتدهمنا التعاسة ، وليتنا فى كل أمر نرجع إلى الدستور والكتالوج الأصلى الذى وضع للإنسان .. القرآن الكريم وكلمات الخالق المبدع فهى - لو تعلمون - التقدم بعينه والصلاح

---

(١) سورة الشمس .

والسبيل القويم وأقرب طريق وأقصر سبيل إلى السعادة . . يقول الخلاق العظيم الذى انتغى أن تكون رسالة الإسلام هى الخاتمة لكل الرسالات المحيطة بكل الأمور الموضحة لكل القواعد والمنظمة لكل حياتنا فى العمل والجهاد . . فى اللذة والحب . . فى الماضى والحاضر والمستقبل : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن، إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن وأبنائهن وأبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » [1]

---

(١) سورة النور ٣٠ ، ٣١ .

٧ ـ التعليـــــم والثقافة :

إذا كانت الظروف قد أتاحت لك أن تحصل على قدر طيب من العلم فأنت ولاشك سوف تحرص على اختيار زوجة متعلمة . . وهذا أمر واجب ومنطقى ييسر سبيل التفاهم والإلتقاء حول الأفكار المختلفة ويقلل من شقة الخلاف فى كثير من الشئون .

ولا بأس بل إنه لواجب عليك أن تدفع خطيبتك إلى التعلم إذا كانت قد نالت قدرا ما أو توقفت عند مرحلة معينة . . ولن تجد فرصة مناسبة أفضل من فترة الخطوبة . . تلك الفترة الهادئة نسبيا . . الخالية إلى حد كبير بالقياس إلى فترة ما بعد الزواج حيث تحول شئون البيت والأولاد والمسئوليات التى لايحدها حد ، ولا توقف زحفها نهاية بين المرأة واستكمال ما كانت تصبو إليه من تعليم .

واجب عليك وحق لها وعلامة من علامات القرب بينكما وتعبير عن خلوك من العقـد أن تدفعهـا للتعليم . . ولـو كانت قد حصلت على الـدرجـة الجـامعية ما الـذى يمنـع ـ إذا كانت راغبة ـ من أن تلتحق بالدراسات العليا وإذا كانت بالدراسات العليا . . دبلوم أو ماجستير . . شد على يدهـا وضَعْ كل امكـانياتـك فى خدمتهـا حتى تحصـل على الـدكتوراه . . فلن يضيرك أن تفعل . . وفوق ما للعلم من مزايا فهو طريق للحب والإعتراف بالجميل ، ومادمت قد بلغت هذا الأثر فى نفس المرأة فلن تجد ما يناقضه مادامت لك سيطرة وقيادة حكيمة وقدرة طيبة على الحب فى وقته والتشدد والحزم حين تستلزم الأمور ذلك .

إن تعليم المـرأة وإن كان ذا عائد فكرى محدود بالقياس إلى العائد الفكـرى للرجـل وذلـك بفضل الميراث الضخم من التعلم والتدريب

العقلى لدى الرجال فإنه يخلق شخصية جديدة ونظرة جديدة ويسهم فى بناء زوجة ذات ملامح وطموحات مختلفة وتطلعات تتميز إلى حد كبير عن تطلعات المرأة البسيطة . . صحيح أن ذلك التعليم قد يثير بعض العقد لدى نوع من النساء ، لكن ذلك أمره فى يد الرجل فضلا عن أنه يقتصر على بعض من ذوات النفوس الضعيفة ومبلغ ما نتمناه وهو مانطمع فيه من تعليم المرأة هو كونها ستصبح فى مقبل الأيام أما . . ولابد أن نعترف بأن أما متعلمة أفضل من أم لم تتح لها فرصة التعليم . . وأبناء الأولى يجب ـ وليس شرطا ـ أن يكونوا أفضل .

فالتعليم لها ومن بعدُ للأبناء ترقية لهم وتطوير لمفاهيمهم عن الحياة وإتاحة الفرصة لإسهامهم الإيجابى والنبيل فى بناء المجتمع ودعم مؤسساته .

والتعليم كذلك منقذ للمرأة من الفراغ والملل وليس على المرأه ـ لو تعلمون ـ خطر أسوأ من الفراغ . . فهو مجلبة الضجر والرذيلة ولنا أن نتفكر فى حال المرأة ذات الحياة الخاوية مما يشغلها وتصرف فيه فكرها ، إنها تعانى كثيرا من الوحدة والوحشة والحرمان ، وتعيد فى فترات الخواء هذه ـ تقييم الكثير من أفكارها وأعمالها ، فلا تلبث أن تتخذ قرارات متعجلة وفجة لا تكون فى أغلب الأحيان فى صالحها . . قرارات مفاجئة وبلا معنى تحاول بها أن تفعل أى شىء وتقدم على أى شىء ، حتى لو كان نزولها فورا إلى الشارع لرؤية شخص تتوقع وجوده فى مكان ما . . تنزل إليه وهى مخطوبة أو غير مخطوبة . . لأنها فارغة الوقت والقلب والعقل . .

والعلم والثقافة وتذوق الآداب والفنون وخاصة بالقراءة حتى لو كانت

القصص البوليسية مساهمة كبرى فى السيطرة عليها وانقاذها من نفسها ومما قد يغزو فكرها فجأة من السلوك الغريب . .

إذن دفعها للتعليم والثقافة أفضل من تركها فى منطقة انعدام الوزن لتقف فى الشرفة وربما يدفعها الفراغ إلى أن تحدث الشخص الوحيد أمامها وقد يكون جارها . . أو ابن عمها أو غيرهما . . وقد تضطر للخروج إلى السينما مع أخيها الصغير أو الكبير أو مع أختها أو صديقتها . . وبعد ذلك يحدث ما يحدث .

هل تتصور صديقى القارىء أن المرأة فى حالة انعدام وزنها وفراغها تفكر فى أشياء غريبة وتحكم على مواقفها السابقة أحكاما جديدة ، وقد تكون متناقضة . . وقد تفكر فيك أنت ، فتعتبرك ـ أثناء ضياعها الفكرى ـ مغرورا ولست مثقفا مثلا ، أو أنك تستعرض عليهم أموالك ولست كريما ، أو أنك شرس ولست قوى الشخصية . . حازما ، أو تحكم عليك بأنك ابن امك لمجرد انك تأخذ رأى والدتك فى شئونك . . أو أنك بخيل ولست مرتبا أو مدبرا . . و . . الخ . .

فالمرأة إذا لم يشغلها الحب الكبير وكانت محرومة من الخلق الطيب والدين . . استمتع بها الشيطان واستغل فراغها أسوأ استغلال وألقى بها فى دروب الوحل والتدهور والهوان .

الإيمـــــان :

أتصــور ـ وأرجـو أن أكـون كاذبـا ـ أن كثـيرين لايدركـون معنى الإيمان . . الإيمان بالله والـرضـا بالقـدر خيره وشره . . إننى أشك فى المعرفة الكافية لدلالة الإيمان فى النفوس لدى حتى كثير من المؤمنين ، وليس المجال هنا هو الحديث عن الإيمان . . ولكن المجال المحدود هنا يسمح لى أن أتوجه إلى أصدقائى الشباب ممن لم تتح لهم فرصة التأمل والفهم العميق لدعوة الإيمان بالله . إن أهم ما يعنينى التأكيد عليه هنا هو أن الدنيا وما فيها وكل ما نصنعه بأيدينا ، ليس من صنعنا بالكامل وليس من بنات عبقريتنا ، ولكن الله القوى القادر الغفور الرحيم ، وراء كل عمل يدفع إليه ويلهم المخلصين ويشارك فيه بمقدار ما يؤثر فى صهر النفس البشرية وصقلها .

قال الله للسيدة مريم « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » . . فهل السيدة البتول قادرة على أن تهز النخلة ، ولكن الله يريد بنـا أن نسعى ونفكـر ونجتهد ونثق به لأنه أقرب إلينا من حبل الوريد وسوف يقف إلى جانبنا إذا وقفنا نحن إلى جانب أنفسنا ، أما أن نقف إلى جانب الشيطان فليس من حقنا أن ننتظر العون ، ومع ذلك فكثيرا ما يأتى العون للعاصى والآثم .

كل ما يحدث حولنا لم يكن ليتم منه ذرة لولا إرادة الله وهديه وليس لنا نحن من الأمر شىء ، والأجدى مادامت هذه هى الدنيا وهذا هو النظام السائد ومادامت هذه هى حكمة المولى سبحانه أن نحترمها ونؤمن به ونثق

فى كل مايدعونا إليه وما يطلبه منا . . علينا فقط أن نعمل عقلنا ، ثم نقبل بعد ذلك النتائج . . حلوها ومرها . . وهذا كفيل بتحقيق الصفاء النفسى المنشود والإستقرار الذهنى المطلوب . . الرضا باب عريض إلى السعادة . . والإيمان سماء بكاملها تنتظر خطوتك القادمة لتلبى لك ما تسعى إليه وتتمناه . .

المواجهــــة :

فإذا ألقى الله ـ ولاشك أنه الله ـ فى عنقك مسئولية إضافية لم تكن قد خطرت ببالك ، فلا تتجنبها أو تتخل عن دورك إزاءها ، فهى مرسومة عليك ولك . . ولا تدهش إذا علمت مسبقا أن الله يلقيها عليك لأنه يعلم أنك رجل وسوف تنهض بها على غير وجه ، ولذلك فهو يعتمد على نجـاحـك فيهـا كى يكـافئـك ويحملك إلى ما هو خير ، ويجلب لك الرزق . . وكان لابد من امتحان . . أو وسيلة وعمل إضافى يكون سببا لاستحقاقك ما يهبه لك ، أو حتى يحميك منه إذا كان شرا يترقبك .

وهذا يعنى أن الرجل الحقيقى يجب أن يواجه المسئوليات ولا يتهرب منها أو يسعى للتخلص منها . . فليس رجلا أو امرأة من يفر من مواجهة ما يناط به من مسئوليات صغرت أو كبرت . . جل شأنها أو هان . . ولقد منحه الله أدوات المواجهة . . الفكر والشجاعة والإيمان .

جبان . . جبان كل من يتقاعس عن تحمل أعباء الحياة له ولذويه . . قد يواجه المرض فيقـاومـه ويصبر ، وقد يفاجأ بحادث أليم . . فلا ينهار . . قد تضطره الظروف وهو الذى يعيش مع أولاده فى حجرتين بأن عليه أن يأوى حماته او ابنة عمه التى غدت فجأة بلا مأوى . . والحياة حوادث ومفـاجـات وأقدار . . قد يفاجأ بانهيار الشقة التى كان ينوى

الزواج بها . . فليس معنى هذا أن خطيبته نحس أو . . أو . . لابد من الإيمان والمواجهة والرب عليه التدبير .

أعرف شخصا بعد أن خطب فتاته الأثيرة التى انتظرها سبع سنوات واستعد للدخول فى بيت أبيه الذى يعانى من الوحدة والشيخوخة فوجىء بأن أباه تزوج فى يوم وليلة وشغلت زوجته الجديدة الشقة ، وأصبح عليه هو نفسه أن يبرحها بعد أن كان قد اتفق مع أبيه منذ شهرين على الزواج والعيش معه وخدمته وطوال هذين الشهرين كان أسعد مخلوق فى العالم . . فما الحل . . البدء من جديد والمواجهة بالفكر والإرادة والإيمان . وليس الحل هو صب السخط على الأب والزمن .

التـــــــردد :

الزواج عالم جديد عليك . . أليس كذلك ؟ . . عالم تتحول فيه فجأة إلى شخص مهم ، بعد أن كنت على مستوى مجتمعات عديدة شخصا عاديا . . مجرد فرد . . أما بعد الزواج فقد أصبحت رب أسرة لك وضعك فى المجتمع وعند والديك والناس . . ولابد أن تكون على قدر هذه النظرة الجديدة التى ينظر بها العالم إليك . .

وأول أدواتك فى الصعود إلى هذه الدرجة،القدرة على اتخاذ القرار فلاشك أنك فى حياة العزوبة كنت بسيطا لاتقيم وزنا لطعام أو شراب لاتعبأ بصديق جاءك بعد منتصف الليل . . لاتغضب ولا ترده . . الشقة مرتبة أو فوضى . . لايهم . . لكن بعد الزواج يتعين أن يأخذ البيت شكلا مايليق بالمؤسسة الجديدة . . ودخولك وخروجك أصبح ذا صورة محددة ومتميزة ولها طقوس ، وفتح النوافذ وغلقها له نظام والتعامل مع الناس لابد وأنه غدا يخضع لطريقة جديدة منظمة ومحسومة .

وترتيب كل ذلك يبدأ من القدرة على اتخاذ القرار . . وربما لايكون بمقدورك أن تفعل ذلك . . وكثيرون لايستطيعون أن يفعلوه أو لايعنيهم أن يفعلوه ويحبون العيش « بالبركة » وليست البركة كذلك . . على أية حال واجه نفسك قبل الزواج وتعرف على عيوبك من أقرب الأصدقاء فإذا كنت تتصف بالتردد . . أى عدم القدرة على اتخاذ قرار . . ودائما ما تكون لك عين فى الجنة وعين فى النار . . إسرع بتدريب نفسك على الحسم . . أى تخليص المواقف فى أقل وقت ممكن وبأكبر قدر من تماسك الأعصاب . . فطول مدة الموقف التعس يزيد الانسان تعاسة ويطيل مدة قلقه وتوتر أعصابه لأن الموقف سيء ولأنه غير قادر على الحسم ، وابدأ التدريب فى الأمور البسيطة . . فأنت مثلا معك مبلغ ضئيل وبحاجة إلى جلدة للحنفية ونفسك فى كتاب جيد فى الأسواق . . الجلدة أو الكتاب تقول لنفسك الحنفية منذ زمن وهى « تنقط » والكتاب سيرفع من السوق اليوم أو غدا اشتر الجلدة مثلا أو الكتاب . . خذ قرارك ولا تعبأ بالنتيجة ، واحترم الرغبة الأخرى التى لم تستجب لها بأن تكون هى الجديرة بالوفاء عند قدوم أول قرش ، وفى المسائل الكبيرة المعقدة يحتاج الأمر إلى تقييم الأطراف المختلفة وترتيب أهميتها مع استشارة من يفهم فى هذا الخصوص . . ولا خاب من استشار .

ويجدر بنا أن نؤكد على أن هناك مسائل لايتعين وضعها فى مجال مقارنة أو كفة ميزان مع غيرها إلا فيما ندر . . فمثلاً هل تصلى الظهر وقد أوشك على الانقضاء أم تتناول الغداء . . هل تذهب للقاء خطيبتك فى بيتها حسب الموعد أم تلبى دعوة العزاء المفاجيء .

مسائل الواجب والفرض والمبادىء وخدمة الغير ومعاونة المحتاج لايتعين-إلا فى الحالات الاستثنائية - التخلف عنها أو تأجيلها . . يجب

أن تكون الكفة فى صالحها . . وترتيب ذهنك على هذا النحو مطلوب للخطبة والزواج لأنك مطالب بمواجهة مسئولياتك إزاء المواقف المختلفة . . ويعد الزواج أنت فى حالة إصدار قرارات دائمة . . من أول سلوك زوجتك إلى المصاصة التى يطلبها الصغير .

لا تنـــــدم :

مادمت قد اتخذت قراراً مَهْما كان خطأه فلا تندم . . عَوِّد نفسك ألاَّ تندم أو تبحث عن الشماعات التى تعلق عليها أخطاءك . . عالج الموقف دون أن تقلق أو تتوتر أعصابك ، فالندم كثيرا ما يؤدى إلى اضطراب العقل ويعوقه عن التفكير السليم وأخذ زمام المبادرة لمواجهة موقف جديد بحالة نفسية وعقلية مختلفة .

أنظر دائما إلى الأمام لا إلى الوراء ، فكر فيما يجب عمله لأنه كثير والمهام التى تنتظرك كثيرة ولا تتوقف . . انها تدق بابك باستمرار ولا تسمح لك بالجلوس ووضع الخد فوق اليد . .

لاتشغل بالك بالغضب من أجل النتيجة الفاشلة والحظ السىء ، ودعك من الماضى ، فالحياة سلسلة من الإختبارات الجديدة ويجب أن تكون مستعدا لها .

لاتيـــأس :

إذا كنت قد جربت النساء مرة وسببت لك التجربة ألما وخلفت جرحا فلا تيأس ولا تلف عقلك وروحك بأفكار مضادة للمرأة ، فليست المرأة التى عرفتها هى كل النساء . . ولكنها واحدة وغيرها كثير . . لاتترك نفسك نهبا للهواجس وللأحكام المتعسفة والقرارات التى تأتى غالبا

ضدك وضد الحياة فلن تكون حياتك جميلة ولا مستقرة بدونها . . وعلى فرض أنها كانت كذلك الآن فلن تكون كذلك بعد عشرين سنة . وهذا هو الأهم فيما يختص بالمرأة ، وهذا ما يتعين علينا النظر إليه لو آلمنا التعامل مع إحداهن وعذبتنا علاقتنا بها . .

أهم ماتعنيه المرأة بالنسبة لى حتى لو لم أكن أريدها الآن هو ما تصنعه معى ولأجلى خاصة فى الثلث الأخير من عمرى . . حيث يكون الإنتحار أرحم من البقاء وحيدا . . حيث تكون الوحشة أقسى من الموت . . وتكون الأيام باردة ومرتجفة وشاردة وأكون وحيدا وتعسا كالجرو فى المطر . . لاغنى لك عنها فهى كما يقول بيكون : معشوقة للرجل فى صباه ورفيقته فى رجولته وممرضته فى الشيخوخة . . المرأة قدر الرجل ، كما أن الرجل قدر المرأة . . وكلاهما بدون الآخر غريب ويتيم ووحيد . . أجدر به أن يسعى إلى الموت برجليه قبل أن يأتيه . . نحن لاندعو إلى الإنتحار كما فعلت داليدا . . حاشا لله فهذا كفر ، ولكن ذلك تأكيد على قيمة المرأة للرجل والرجل للمرأة . . خاصة فيما بعد خريف العمر .

إذن جرب من جديد . . وبهدوء واستفد دروساً عقلية ، مما فات ولا تحتفظ بالسخط ضدهن والحقد عليهن . . تخلص من العقد النفسية . . وما أكثر من ابتلعته العقد من علاقة فاشلة مع امرأة واحدة . . الحياة مليئة بالوعود الجميلة وبالأحلام السعيدة كما أنها حافلة أيضا بالواقع الجميل والحياة الرخية . . والحياة ليست كلها عذاب وهوان وتجارب فاشلة . . بالعكس الحياة تزداد حلاوة إذا بدأنا بسقطة أو بعثرة أو بصدمة أو بتجربة تعسة .

جرب من جديد وتخلص من سوء الظن فلكل تجربة ظروفها وشخصياتها ولاتنس أنك دون أن تدرى شاركت فيما حاق بك من

قبل .. فشارك من جديد فى تحقيق حياة جديدة. وتجربة مضيئة وفتح عينك ..

الطاقة الجنســـية :

لاتفكر فى طاقتك الجنسية ولا تنشغل طويلا بخصوصها ، فقد أراد الله أن يحمى البشر من مصدر كبير للقلق ومنبع لاينفد لمأساة الإنسان ..

لقد قضت حكمته أن تتشابه أجسام النساء وكذلك وعلى نفس الخط وفى المقابل متع الرجال بكفاءة طيبة ومتقاربة .. وأتاح للرجل من الإمكانيات الجنسية ما يمكنه من الإستمتاع بها من السادسة عشرة إلى ما بعد الستين .. فحياة الرجل الجنسية لايأفل نجمها أبدا .. هذه هى الطبيعة وهذه هى القاعدة ، وإذا حدث نقص أو عنة أو تدهور لدى البعض فسبب ذلك دنيوى كالإجهاد والتوتر العصبى والخوف من المشاكل المالية أو البعد عن ممارسة الجنس سنوات ، وأحيانا يكون الخجل هو السبب .. وكلها حالات مؤقتة ولا مبرر للإنشغال بها أو الخوف منها حتى لاتوصل نفسك إلى حالة من القلق والتوتر تؤثر فيك فعلا .

الأم :

الأم فى العادة تحب ولدها وتفكر طويلا فى كل شأن من شئونه .. وبعضهن لايفكرن فقط ، ولكن يمارسن دورا بارزا فى حياة أبنائهن وخاصة لو كان الوحيد .. وأعرف أما كانت تشترى لولدها ملابسه الداخلية والخارجية ، وتشير عليه بمصادقة هذا الشاب والتخلص من ذاك .. وأما أخرى كانت تصطحب ولدها فى بعض سفرياته أو رحلاته أو زياراته . وبعضهن كن ينتظرن عودة أبنائهن من أعمالهم بفارغ الصبر

لتسأله عن الأحوال والمشاكل وماذا أكل وماذا شرب . . وموقف المدير منه وماذا فعل فى الدرجة أو الخصم أو زميله الذى لم يرد عليه التحية أمس .

الأم جزء كبير من كيان الإبن ، وجانب رئيسى فى روحه وعواطفه وأكثر المواقف حساسية بالنسبة لها هى عزم ولدها على الخطبة . . تبدأ فى التوتر ويبدأ مؤشر التوتر فى الصعود منذ اليوم الذى يبلغها نبأ إختياره بنفسه وبدونها ـ خطيبته ، ويتوالى صعود المؤشر مع كل هدية يحملها إلى الخطيبة وكل زيارة و . . لذلك ـ وسواء كان تصرف الأم فى كل مناسبة عاديا أو غير عادى ـ يتعين على الشاب أن يتنبه لحالة أمه ومشاعرها ـ ويتقدم بحذر ، ويعد العدة الكافية لمشاعرها كى يحمل إليها أى خبر جديد فى هذا الشأن .

إنها أمه وهو روحها ومستقبلها . . صحيح كما يقول المثل : مسير الإبن يبقى جار . . لكن هذا فى الأمثال ، لعل هذا المثل تم تجهيزه وتأليفه خصيصا للأمهات ، لكنه لم يؤت ثماره . . ولا يزال بلا جدوى حتى بعد التقدم وانحسار العواطف بشكل عام وبعد الفتور فى العلاقات وزحف السلوك الأوروبى على معاملاتنا الاجتماعية .

فكر فيها طويلا وامض فى سبيلك رويدا رويدا . . وحاول أن تشركها معك فى مشروعك واحترم رأيها ، وفى المقابل صارح خطيبتك بحبك لأمك وحبها لك ، وهو بالطبع حب من نوع آخر غير عاطفتك تجاه خطيبتك ، ويجب أن يكون لها دور واضح فى طلب ود والدتك واحترامها وسؤالها ومنحها الاعتبار والتقدير المناسبين . . يجب أن تكون واضحا فى مواقفك ومشاعرك ، ومن حق أمك أن تكون كفتها راجحة ، ، ففى حبها قوة لكما ، وفى سخطها منتهى التعاسة .

ولابد أن نعترف بأن موقفك بينهما من أدق المواقف وأكثرها حساسية وقليل من الرجال من يستطيع عبور هذا المضيق بكل الضغوط النفسية التى تحاصره خلال فترة عبوره .

الأم لها كل الحق فى ابنها وفيما يملكه ، لذلك فهى تريد أن تحوزه وأن يكون قريبا منها وتحت نظرها . . لاتريد أن تسمح لأحد أن يعبث فى مفاتيحه التى أعدتها طوال ربع قرن . . وبرنامجه الذى انفقت أعصابها ونـور عينيها فى جمعه وضبطه وتشغيله ، والزوجة من حقها أن تستمتع بزوجهـا وأن يكـون لها بفكـره وعـاطفتـه ومـالـه . . بل ماضيه أيضا ومستقبله . . وهى راضية أن تمتلك أمه ماضيه فقط ولها هى بعد ذلك كل شىء . . والزوج مشدود لأمه حبيبته التى أرضعته وحرمت نفسها لتغـذيه وسهـرت لينـام وتعرت لتكسوه ، وربما طلقها زوجها فتشبثت بولدها هذا ، وربما مات عنها عائلها ، فنزلت إلى الشارع تعمل لتعوله وتوفر له ما كان يلقاه دائما . . وقد يطلب الزوج الذى طلقها أن تسلمه ولـده ليعيش مع زوجتـه ، فترفض وتحارب وتتشرد فى المحاكم وأقسام البوليس حرصا عليه ورفضا للتخلى عنه مقابل متاع الدنيا كلها . . ثم يأتى الوقت الذى يؤخذ منها هكذا ببساطة وبدون بوليس ولا محاكم ولا أى إجراء إلا أنه اختار زوجة له .

والزوج مشدود إلى زوجته ، تلك التى يحبها ويهفو إليها حبا يختلف عن حبه لأمه . . ويريد دائما أن يكون قريبا منها . . ويتمنى أن تطلب شيئـا فيلبيه . . موقف دقيق لايقـدر عليه إلا أصحـاب الشخصيات القوية ـ الذين يتمتعون بسمتين أساسيتين :

١ ــ فهم طبيعـة كل طرف والتسليم بحقـه . . فالأم ليست مجرد شخص حبيب بل هى الماضى والجذور والحنان والوفاء والتضحية وكل

معنى جميل . . لايدانيها فى قيمتها عشرة نساء يعشقونك ، ولذلك يتعين أن يكون وضعها واضحا ومعاملتها محددة وهى أعلى درجات الإحترام والزوجة سيأتى دورها لتحتل نفس المكانة وأكثر ولكن ليس الآن . . ربما بعد عشر سنين حين تتجلى امكانياتها وتظهر قدراتها ونفعها . . الأم اختبرناها ربع قرن لم تبخل بروحها لحظة . . أما الزوجة فيجب أن تبدى كراماتها ومواقفها حتى تحظى بدرجة الأم وكم من الزوجات الفاضلات من يبلغن درجة الأم للزوج بعد العشرة الطيبة .

٢ ــ اللباقة . . تعنى الأسلوب الهادىء والصبر فى كبح جماح عواطف كل منهما وانفعالاتهما وفى التوفيق بينهما .

المرأة والخجل :

المرأة كما سبق القول شخصية هامة جدا فى حياتنا ، وأثرها فى وجودنا أخطر وأهم من المدارس والجامعات والمستشفيات . . بمعنى أنه لا مفر عنها . . بل من الواجب أن نسعى إليها لأن ذلك من عوامل الصحة لا من عوامل المرض . . وعلاقتنا بها تعتبر وضعا للنقط على الحروف فنحن الحروف وهن بالنسبة لنا النقط وهن الحروف ونحن بالنسبة لهن النقط .

إذن لابد من تعرفك بهن . . والتحدث معهن . . ارفع عن رأسك غطاء الخجل وعن عينيك نظارة الحياء منهن . . لم يعد ذلك لائقا برجل فى القرن العشرين فضلا عن أنه لايليق بأى رجل فى أى زمن . .

يجب أن تلعب معهن وتذاكر وتسافر وتتبادل المصالح والقصص والضحك والبكاء والنظرات ، ولا بأس من الرسائل والكلمات والمواعيد

والهدايا الرقيقة والبسيطة وكما يقول جان جاك روسو : لم يخلق الإنسان ليبقى طفلا طول حياته .

يجب أن تتخلص من غربتك عنهن ، ولابد أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه المرأة بالنسبة لك كائنا عاديا . . كائنا واضحا وبلا غموض . . كائنا لاينسبب التعامل معه ارتباكا وتوترا ، ولا يدفعك حديثها معك إلى التعثر والخجـل والرهبة . . ولكن حاول قدر طاقتك ألّا تسلم قلبك لواحدة منهن إلا بعد أن تقضى فترة دراسة كافية . . تتعرف فيها على طباعهن وأفكارهن ونوازعهن وعقـــدهن .

دق بابها بأدب وتعرف عليها برفق . . ولا تحزن أو تتألم عندما تتلقى أول صفعة ، ولا يحمر وجهك خجلا عندما ترفض طلبك . . ولا تلح كما يتصور البعض ، على العكس . . إياك أن تلح مهما كانت من تخطب ودها أو تتقرب إليها . . صحيح أننا نطلب إليك أن تدق بابها ولكن هذا لايجب أن يكون على حساب كرامتك وكبريائك . . تقدم نحوها مرفوع الـرأس بلا غرور . . رقيق الصوت بلا خور أو جبن . . وتحدث إليها بصدق وبلا افتعال . . ولو سخرت منك لاتعبأ بها . . واشغل نفسك بعلمك أو عملك إلى أن تأتى ساعة ملائمة فتحدث فيها مع غيرها بلا خوف من الفشل . . فليست المرأة هدفك الوحيد الذى تقوم عليه حياتك ولكنها شىء ثمين لابأس من معرفتـه ولابد منه وإن طال الســـفر .

تـم الـكتـــــاب بحمـد الله

فؤاد قنـــــديل
٨٥ - ١٩٨٦

المؤلف فى سطور

★ فؤاد محمود قنديل
★ ولد فى ١٩٤٤/١٠/٥
★ ليسانس فى الدراسات الفلسفية
★ يكتب القصة القصيرة والرواية والمقال منذ عام ١٩٦٦ ونشر فى كل الصحف والمجلات العربية
★ يشرف على تحرير سلسلتى «أصوات أدبية» و«كتابات نقدية» بالهيئة العامة لقصور الثقافة (ش أمين سامى المتفرع من قصر العينى - القاهرة)
★ صدر له :

١- عقدة النساء	مجموعة قصص	طبعة خاصة	نفذت
٢- كلام الليل	مجموعة قصص	طبعة خاصة	نفذت
٣- اشجان	رواية	الشركة العربية للنشر	نفذت
٤- الباب الأزرق	رواية	المطبعة الفنية	نفذت
٥- السقف	رواية	الهيئة العامة للكتاب	نفذت
٦- موسم العنف الجميل	رواية	الهيئة العامة للكتاب	
٧- عشق الأخرس	رواية	أخبار اليوم	
٨- شفيقة وسرها الباتع	رواية	دار الغد العربى	
٩- عسل الشمس	مجموعة قصص	الهيئة العامة للكتاب	
١٠- محمد مندور	دراسة	دار الغد العربى	
١١- نجيب محفوظ كاتب العربية الأول	دراسة	هيئة قصور الثقافة	
١٢- إحسان عبدالقدوس	دراسة	هيئة قصور الثقافة	

تحت الطبع

١- الأدب الأفريقى	دراسة	الهيئة العامة للكتاب
٢- واوا	رواية	دار الهلال
٣- النقر على زجاج القلب	مجموعة قصص	دار الهلال

رقم الايداع ١٩٩١/٢٧٧٥

I. S. B. N.
977-5130-09-3

طبعت بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر
«إخوان مورفيتلى سابقا»
تليفون : ٣٩٠٤٠٩٦